العولمة...
ووعد الله الحق

العولمة...
ووعد الله الحق

محمد كامل الخجا

مكتبة
التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ محمد كامل الخجا، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخجا، محمد كامل
العولمة ووعد الله الحق / محمد كامل الخجا
الرياض - ١٤٢٨هـ
١٤٢ ص، ١٤,٥ × ٢١,٥ سم
ردمك : ٠ - ٠٨٣ - ٥٨ - ٩٩٦٠
١- الوعظ والارشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٨ / ٤٣٥٨
رقم الإيداع: ١٤٢٨/٤٣٥٨
ردمك : ٠-٠٨٣-٥٨-٩٦٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

مكتبة التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ - فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ - ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤ ـ ٢٥].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين.. **السبوح** القدوس.. **رب** الملائكة والروح.. **المجد** له سبحانه.. **والكبرياء** والعظمة والسؤدد!.. **سبقت** رحمته غضبه.. **وسبقت** مغفرته عذابه!..

والصلاة والسلام على عبده ونبيه ورسوله سيدنا **محمد** بن عبد الله وعلى سادتنا عباده وأنبيائه ورسله وعلى جميع آلهم وصحابتهم وعباده الصالحين. أجمعين...

ونسأله سبحانه أن نكون منهم وعلى نهج رسوله الأمين سائرين.. وإنا لله سبحانه وتعالى وإنا إليه لراجعون..

وبعد،

فإنني أجدني ملزماً بما وهبنيه الله سبحانه.. أن أدلي بمرئياتي ملهماً منه عز وجل.. **وأطرح سويقي** الذي منه أجدح مع الطارحين من وجهات نظر ربما يعني لقارئها مشاركتي ما فيها الرأي ولعلها تحظى بالقبول. **خاصة** وأنني لأستقرىء مزيلاً فيها ما قد يتلولب على أذهان بعض جيل اليوم مما يكون قد طرأت عليه ركامات من

تراب طمرت به، عن دين الرحمة لا العذاب.. دين النور لا الظلام.. دين الحرية.. لا العبودية.. دين الإسلام.. المنزل من الحكيم الخبير لخلقه سعادة لهم على نذير مطاع مضرماً به في صدورنا الآمال بشير مصدق.. يلزمنا الدعوة إليه تقرباً إلى الله سبحانه بالطاعة. وزلفى إليه نتدبره ونعمل به لصلاح حياتينا الفانية والباقية في رحلتنا.. التي كتبت علينا ليبتلينا سبحانه ﷻ موتاً وحياة أينا أحسن عملاً!!..

والعالم الإسلامي المعاصر الآخذ في البروز تدريجياً كطاقة مادية وبشرية عالمية في عصر العولمة اليوم لهو من أوضح وأصفى التكتلات البشرية المتجانسة فكرياً والتواقة أبداً للرقي وتحمل المسؤوليات الحضارية ذات الطباع القيادية. هذا العالم يشغل حيزاً جغرافياً بين ثلاث قارات. ولذا كان في الماضي ملتقى ومنبعاً للحضارات وعلى أديمه الممتد من الخليج إلى المحيط والأمة الإسلامية حتى في أحلك عصورها وانقساماتها واختلافاتها لم تفقد الإحساس بتجانسها الفكري.

ولأسباب عديدة لم يتح لهذا التجانس أن يبرز على الصعيد العالمي الحضاري اليوم كطاقة إيجابية إلا أن الزمن آخذ في التغير وبوادر اليقظة بدأت تشق طريقها نحو النور.

وذلك لأن تحديات العصر ومشاكل حضارة العولمة ستؤدي حتماً إلى تدابير وحلول تشمل الكرة الأرضية بكاملها.

وعندها تتهاوى الدويلات والكيانات السياسية الهشة مثل

أوراق الخريف. أما التكتلات المنسجمة المتجانسة فيصعب اجتثاثها لا سيما إذا كان دينها.. لكل زمان ومكان.. وتساهم إيجابياً في بناء الحضارة الإنسانية وتصحيح إعوجاجاتها.

وهناك من البوادر ما ينبىء بأن العالم الإسلامي مقبل على تكتل من نوع جديد لم يسبق له مثيل أو يندرج تحت أي شعار أو تجربة وحدوية سابقة كاتحاد الولايات المتحدة الأمريكية أو الجمهوريات السوفياتية أو حتى تلك التي رفعتها الشعوب العربية وما زالت تنادي بها.

هذا التكتل إسلامياً تمليه حقائق العصر وما أوجدته حضارة العولمة من تشابك المصالح الإنسانية وتعددها وتعقدها بحيث أصبحت الاستقلالات الحالية لدى العرب وغيرهم لا تحوي مفهومها التقليدي السابق وأن بلدان العالم المائة وثلاثين ونيف لا تستطيع الاستمرار في البقاء لوحدها مهما بلغت ثروتها الفردية وأن البديل هو التكتل المبني على التجانس البشري وأن العالم الإسلامي لأحسن مثال على هذا التجانس إنه أمل ونظام وإمكانيات لإنقاذ الحضارة الإنسانية التائهة أو هديها للطريق الصحيح. فدينها.. هو خاتمة الرسالات وهو دين الرحمة للعالمين.. وصدق البشير النذير صفوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين الذي تنبأ في حديث شريف له عدة روايات قائلاً فيه: «**زُوِيَتْ لِيَ الأرض مشرقها ومغربها حتى رأيت أن هذا الدين يدرك كل بيت وَبَرٍ وحَجَر**». وقد صَدَّقَ الله ﷻ بنبوءته فقال سبحانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ صدق الله العظيم.

فالإسلام دين الحق ذلكم الذي أنزله الله لسعادة خلقه.. والدعوة إلى الله.. ومنهج الإصلاح العام.. في الأمة بالإسلام.. ليس بالدماء والآلام.. ومنهاج الإسلام منهاج من الله لا يكون مناسباً عندما يصنع من أحد من الخلق حتى الأنبياء والرسل **صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين** ليسوا إلا منفذين لوحي السماء من لدن الله مالك الملك وحده:

فليس للدعاة إلى دين الله إلا أن يعملوا في نطاق هذا المنهج ولا يخرجوا عليه.

وعليهم أن يلتزموا بأدب الدعوة إلى الله سبحانه من الحكمة التي تحكم الأمور وتضعها في نصابها وتستعمل كل شيء في مكانه الصحيح ويلبس لكل حال من أحوال الدعوة لبوسها ويزنها في ظروفها وملابساتها بميزانها الصحيح دون تزايد أو انتقاص ومن غير تهوين ولا تهويل، ثم يواجهها بما يناسبها من أساليب الدعوة وطرائق عرضها بما يتسق معها من منهج الحق، فإذا اقتضى الأمر عظة تخاطب القلب والوجدان والعواطف فليكن في مادتها وقوتها وبلاغتها ورعايتها لمقتضى الحال والمقام دائماً إلى مضمونها وحجمها ومستواها ومستوى من توجه إليه لتكن في ذلك كله مطابقة

تماماً لا تنبو ولا تشذ ولا تجرح ولا تقدح وإلا فقدت مفعولها وعدمت ميزاتها واستحالت من عظة تشجع القلوب لجلالتها ومبناها إلى ألفاظ فجة ميتة فارغة خلت من مضمونها لا تستهدف سوى التشهير والإثارة والتنفيس البعيد كل البعد عن التقويم والتوجيه والتربية والاعتدال!

إن لسبيل الدعوة إلى دين الله الحق حكمة واتزان والتزام واعتصام بالعقل واحترام للمنطق واستصحاب للحلم وللرفق والأناة والتريث، ثم هي نفاذ إلى القلوب وإقناع للعقول وتبصر بالأمور واختيار لأنسب الصور والأزمنة والأساليب والوسائل التي توصل إلى الغاية من أقرب الطرق بحيث تتغلغل القلوب والنفوس والعقول بعد إعمال الذهن وإجالة الفكر وتحكيم المنطق وإتيان الحق وتجنب الهوى. والأنانية والميل والغرض.

والدعوة تستوجب إنصاف من يدعى إلى دين الله والروية معه ومنحه فرصة من الوقت للتفكير والتدبر والتروي وتبادل الرأي والمشورة وهذه ميزة امتاز بها الإسلام حين أوجبها على الدعاة وجعلها من آدابهم مهما كان من يدعى إلى دين الله قاسياً وفظاً وعنيفاً وغليظاً وجباراً ومتكبراً فلا يجب على الداعي سوى أن يؤدي إليه ما كلف به من دعوة الحق في برهان وحجة وفي لين وحكمة وفي هدوء وروية وفي بصيرة ويقظة، **وكياسة وفطنة** مع استخدام كل الطاقات المتاحة والملكات الممكنة في الإقناع والإلزام والدعوة وضرورة التركيز على تحريك العقل والعواطف

واستثارة الوجدان نحو الحق بصفائه ونقائه وبساطته وما يتسم به من عدل وجمال ونور وهدى، **تلك سمات الإسلام** التي دعى إليها وجعلها أسلوب دعوة الداعي.

إن الله عز وجل الذي خلق عباده هو وحده العليم. بتكوينهم وصياغتهم ويعلم طاقتهم واحتمالهم ومدى قدراتهم واستعدادهم وهو وحده سبحانه الذي أنزل الدين وما جاء دين الله الذي أنزله على رسوله إلا مطابقاً للفطرة في تكوين الشخص.

لذلك جعل الدعوة إلى دين الله فيها يسر وسهولة ولين ورفق حتى لا يكون هناك تعنيف ولا ترهيب وحتى لا يقع الشخص تحت ظروف الإكراه فيمارس عبادته بثقل على النفس وهموم على الفكر وتباطؤ في الحركة قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

هذا هو الإسلام لا عنف ولا إرهاب ولا استبداد ولا حب في إراقة الدماء وإنما هو عدل وشورى وتبادل للرأي وحب للخير ونشر لألوية الأمن ودعوة إلى السلام في صفاء ورفق ولين وإخاء.. **إن الإسلام** يحث أتباعه على أن تسود حياتهم المحبة والأخوة وَعَلَّمَ المسلمَ أن يتحدث إلى إخوانه من الناس بقلب مفتوح وصدر واسع وإخلاص، قال سيدنا محمد ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» أو كما قال.

والواقع يعلمنا أن الأسلوب الخشن يضيع المضمون الحسن ولقد ورد في الأثر (من أمر بمعروف فليكن أمره بالمعروف).

ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به.. رفيق فيما ينهي عنه.. حليم فيما يأمر به.. حليم فيما ينهى عنه.. فقيه فيما يأمر به.. فقيه فيما ينهى عنه!!.

وقد ورد في السّير أن رجلاً دخل على المأمون الخليفة العباسي يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر فأغلظ على المأمون بالقول وقسى في التعبير ولم يراع أن لكل مقام مقال يناسبه وكان المأمون ذا فقهٍ، فقال للرجل: يا أخي أرفق بي فإن الله عز وجل بعث من هو خير منك إلى فرعون وهو شر مني فأوصى سبحانه موسى وهارون عليهما السلام بقوله تعالى: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ومن درس سيرة الرسول ﷺ وسنته رأى في هديه الرفق الذي يرفض العنف والرحمة التي تنفي القسوة، واللين الذي يأبى الفظاظة، كيف لا وقد وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وصوَّر سبحانه علاقته ﷺ بقومه في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ...﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالإسلام هو دين السماح فلا يليق أن نكفر بعضنا كمسلمين وأن نهجر بعضنا ونحن أصحاب رسالة واحدة قبلتنا واحدة وقرآننا واحد وديننا واحد وآيات القرآن تُتلى بين أظهرنا.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالإسلام دين الله سبحانه الذي أنزله على رسوله ﷺ ليكون رحمة للعالمين هديته لهم وهدايته إليه لا يحيدون عنه ولا يتطلعون إلى سواه من حيث: كان فيه غناهم عن غيره وشفاء نفوسهم به وسعادتهم التي لا سبيل إلى تحقيقها في الدنيا والآخرة إلا به، وقد برزت منهجية الإسلام ووفاؤه بحاجة البشر تلبية لرغباتهم وحلاً لمشاكلهم وقضاءً على مآسيهم فيما اختصه لأمة محمد ﷺ من وسطية بالعقيدة والشريعة قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فلا تطرّف ولا غلو بل اليسر في العبادة بلا تشدد.. إننا نجد المنهاج الأقوم في أخلاقيته الحسنة وأساليب سلوك العيش بسلام وحب في الحياة.. وفيما أحاط به شريعته وتكاليفه وفرائضه وشتى أركانه وشعائره من الإمكانيات والطاقات والقدرات، وفيما أضفاه الله على هذا الدين من يسر وسهولة تجعل اعتناقه من الأمور الحسنة الجذابة لما يتسم به من روح طيبة تحوطه بأرقى وأعلى ما عرفت الحياة من شرائع ومناهج ومذاهب لما فيه من حرية تامة ولما يطلق للإنسان من إرادة مطلقة واختيار كامل لأن الاقتناع به قائم على البراهين والأدلة والوقائع من غير قهر على الإيمان ولا قسر على الدخول فيه، وفيما يتوخاه ويحرص عليه ويتحراه من

وسائل في الدعوة إليه وجمع الخلق عليه ولفت أنظارهم نحو ما جاء به من دوافع سامية في كل أفق من آفاقه وفي كل مجالٍ من مجالاته وبما فيه من الوسائل التي تمثل في ما عرف من آداب الدعوة وضرورة قيامها على الحكمة واللين والبصيرة والموعظة الحسنة والجدال بالكلمة الطيبة التي تدل على سعة الصدر وسعة الأفق والعلم بموضوع الجدل «فالإيمان» عقيدة في القلب يترجم عنها اللسان وما دام الشخص يردد **لا إله إلا الله محمد رسول الله** فلا يليق بمسلم أن يكفره ولا أن يسبه ولا يهدر كرامته ولا يغشه ولا يغتابه تحت أي ظرف من الظروف.

هذا هو الإسلام!.. دين وسط يرفض العصبية ولا يرضى أن تكون مسلكاً من مسالك الناس ويرفض العنف ولا يقره وينحي باللائمة على كل متعصب أو متطرف ولا يرضى التطرف وبكرهه ويحذر أتباعه من أن يتخذوه وسيلة لتوصلهم إلى أي غاية مهما كانت النتائج، كما أنه ينهى عن الإرهاب ولا يقره ويعلن كل من يتخذه وسيلة للوصول إلى غاية دنيئة إنه دين السماحة إذ يقول النبي ﷺ سيدنا محمد: «**رحم الله امرءاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه.

ويحثّ على الرفق لأن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه وما دخل العنف في شيء إلا شانه. فالتعامل الحسن يهدي للتي هي أقوم ويجعل اللين في الأعصاب والقلوب... قال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها...

وقال ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**» متفق عليه عن أنس رضي الله عنه، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

والقرآن الكريم الحكيم حدد لنا في كثير من الآيات ثواب كل عمل، **فالحسنة** بعشر أمثالها وقد تصل إلى سبعمائة درجة، وإن الفضل العظيم والثواب الكبير والعطاء من الله عز وجل بلا حدود للإنسان السمح الطيب الذي يلتقي بالناس وعلى شفتيه ابتسامة وفي عينيه علامة رضا وتوحي نظراته بأمن واطمئنان ومن يقابله يأخذ الأمن لنفسه ويتبادل الحديث معه في ثقة ومودة ومن هنا يقول الرسول ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه البخاري. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال ﷺ: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**» متفق عليه.

إن الإسلام مع دعوته إلى اليقظة التامة والحرص الدائم والتفوق المستمر فإنه لا يرضى لأتباعه أن يتصفوا بالخيانة وأن يغدروا فليس ذلك من أسلوب المسلمين ولا من صفاتهم وصفائهم ونقاوتهم، هذا هو منهاج الإسلام لا إفساد في الأرض ولا مجاملة في الحق إنما صراحة برفقٍ ووضوحٍ وأمن واستقرار وصدق وإخلاص وبر ووفاء ومروءة وكرم وحب. كل ذلك وغيره كثير من أخلاقيات الإسلام التي دعا إليها وبيَّنها في منهجه القويم.

وإذا كان الإسلام يرفض التعصب والتطرف والعنف والخداع والكذب والعدوان، فإنه كذلك يرفض الاستبداد ويقيم مكانه الشورى وتبادل الرأي وليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً وكان يقول إن خياركم أحسنكم أخلاقاً) متفق عليه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» رواه مسلم.

ألزم الإسلام المسلم أن يتحلى بخلق التسامح ويتخذه لنفسه خلقاً يحقق الخير فيه ولأمته وللمجتمع الإنساني كله لأن التسامح بين الناس فضيلة من أعظم الفضائل وأجلّها قدراً وأبقاها أثراً وأوفرها عند الله جزاءً وشكراً، به يسعد المجتمع الإنساني ويسوده الأمن والاطمئنان ويعمه الرخاء والسلام وقد أمر الإسلام أيضاً بالتراحم العام وجعله من دلائل الإيمان الكامل، قال رسول الله ﷺ: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**، قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: **إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة**» رواه الطبراني.

إذاً ينبغي على كل مسلم أن يتخذ من الرحمة منهاجاً لنفسه ولأمته وللمجتمع يحقق به الخير الإنساني كله، فإن القسوة والغلظة والخشونة تأباها القلوب المؤمنة لأنها جفاف في النفس لا يرتبط بمنطقٍ ولا عدالة إنها نزوة فاجرة تشيع الإساءة والعداء، أما الرحمة فهي إشراقة من الجمال الإلهي الباقي في طبائع النفوس

يحدوهم إلى البر، وإذا فقد التراحم وفقد المرء التعاطف والمودة والمعروف والإحسان انْطَمَسَتْ معالم الإنسان الفاضلة وشاعت البغضاء وانتشرت الفحشاء وفشت الجرائم وهلك الحرث والنسل وكثُرت المغارم وحل بالمجتمعات الشقاء والأحزان، **فالإسلام دين الرحمة** نادى بالتراحم الشامل وجعله دليلاً على صفاء القلب وقوة الإيمان وحب الخير وسعادة المجتمعات. **فالرحمة** يجب أن تكون مع المسلم وغير المسلم في كل خطاه كَسِمَةٍ مميزةٍ لشخصيته لا ينفك عنها إنها تغمر الكيان الإنساني للفرد ويشيع روحها في الجماعة فتشرق في حياة الإنسان مع نفسه، وتتضاعف في معاملته مع والديه وزوجه وأولاده وإخوانه وأقاربه، وتنداح أبعادها حتى تشمل الخلق قاطبة من إنسان أو حيوان:

(دخلت امرأة النار في قطة حبستها فلم ترحمها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت).

كما حدثنا رسول الله ﷺ.

فيجب أن يكون هدف الداعين إلى الإسلام والعاملين له متسماً باللين والرفق والتسامح والرحمة ليكون بحق عاملاً على نشر الدعوة إلى الله ليسود الحب والألفة واجتماع القلوب والتئام الصفوف ورأب الصدع والبعد عن الفرقة والتشرذم وكل ما يمزق الجماعة ويسيء إلى الأفراد من عداوة باطنة وظاهرة أو إثارة الفتن والبغضاء الباطلة وإحداث القلاقل. إن ذلك يؤدي كله إلى البعد عن الدعوة إلى الله التي رحمنا الله بها بالتمسك بأقانيمها المقدسة

لنسعد في حياتينا الأولى والآخرة ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

إن إراقة الدماء الزكية.. وإزهاق الأرواح البريئة وتدمير المنشآت.. واللجوء إلى إخافة الآمنين.. وإشاعة الذعر في صفوف الوادعين!.. **كل ذلك تحاربه الشرائع السماوية**.. وتأباه العقول الواعية الحكيمة.. منذ أن كان الإنسان في كل مكان.. وسائر الأزمان!!!.

وما أرسل الله عز وجل الرسل والأنبياء إلا وقد شاءت قدرته العليمة ورأت بصيرته الحكيمة بين الحين.. والحين.. تقويم اعوجاج مسيرة الإنسان ـ كلما اعوجت ـ ذلك الإنسان الذي كرمه سبحانه وسخَّر له معطياته الربانية ورسم له منهاجاً يسلكه في عمارة الأرض ليكون خليفة فيها ويتوارثها نسله ليجسد الحق والعدل والحب والخير والسلام والنماء في قالب الواقع.. كما قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢].

وما كان العنف يوماً من وسائل التقويم.. ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ وما كانت القوة الظالمة يوماً لتدوم.. والمعارضة الهدامة الحاقدة دوماً إلى زوال.. لما ينتج عنها من هلكة وضرر وإضرار للمجتمعات.. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾!!!.. إن الشرائع السماوية تدعو إلى الحب والإخاء بين الإنسان وأخيه الإنسان ومن أهم وسائل ديمومة الحب والإخاء

النصح الحكيم والأمر بالمعروف لمن ضل الطريق أو أخطأ في أدائه قولاً أو عملاً بأسلوب بَنَّاء رزين بِقَوْلٍ رشيدٍ يهدي إلى سلوكه القـويـم.. ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾..

ولم يحدث في تاريخ الإنسان على مدى مسيرته الحياتية في قوم أو أمة أن جاءهم مصلح إن كان رسولاً أو كان نبياً أو سائراً على منهاج بناء الخير إلا واستعمل في دعوته أدوات الحكمة والروية والرفق وقوة الإقناع ومدعوماً من الله إن كان نبياً أو رسولاً بآيات معجزات مبهرات لحث الآخرين على انتهاج درب الحق.. وتسليمهم بصدق ما جاء به عن الله العظيم القدير العليم الخبير.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ كما قال الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ.. و﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.. كما قال سبحانه لسيدنا موسى وسيدنا هارون **عليهما الصلاة والسلام!!!**..

والالتزام بالمثالية قولاً وعملاً إنما هو السلوك الصحيح للمصلح.. لا بد من توافره ليكون الأسوة الحسنة والأمثولة الحية في تعايشه مع الآخرين.. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾... ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.. كما قال الله عز وجل لرسوله سيدنا محمد ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾..

وقوله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. وفي جميع الكيانات التي تتالت في التاريخ متواترة.. لم تدم سوى كيانات بنيت على أُسُسٍ.. مداميك بنائها.. العدل والحق والحب والإخاء والنصح الراشد للبنائين فأضحت كياناتٌ صروحها شاهقات من النماء.. خصوبة نداها الريان تنضح سلالاً بمنجزات الخير.. والثمار المباركات.. **وما اعترى تاريخ الإنسان** من كيانات بُنِيَتْ على أُسُسٍ شريرة أو نوازع حاقدة إلا سرعان ما انهارت وتردت إلى أسفل السافلين!!!.. وكل الأمم العريقة بأمجادها كانت في مقدمةِ ركائزِ وجودِ كياناتِها في وسائل بنائها شرائح من مجتمعاتها تواقة للمعارضة في أساليب البناء إلا أنها معارضة بناءة تصون ولا تهدم وتلجأ إلى الحوار والأساليب الخيرة.. بل ويجب أن تكون هناك في أية أمة بناءة معارضة بناءة.. ليغذَّ السير كُلُّ بَنَّاءٍ في شريحة من شرائح المجتمع في مسيرة بنائه.. فكل عمل دؤوب تكون له سلبيات ومن لا يعمل لا يخطىء..

وبذلك تغدو مسيرة البناء في حاجة مُلِحَّةٍ ودَيْمُومةِ استمراريةٍ إلى من ينبه إلى تلك الثغرات السلبية في مسيرة العمل.. وهؤلاء المنبهون هم المعْنِيُّونَ بِسَمَةِ المعارضة البناءة.. التي أُسُّهَا النصح والحوار فَهُمَا بابا رحمة.. ومفتاحا بركة.. لا يضل معهما رأيُ نُصْحٍ يُشِيرُ ولا يضيع بهما جهدُ عملٍ مبذول!!..

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.. كما قال الله عز وجل سبحانه!!..

إلا أنه في العقود الأخيرة من تاريخ البشرية المعاصر استفحل شر ضرام المعارضة الهدامة الموغلة في وحشية الإفساد. اللائذة إلى جنون العنف بالقتل الذي يكون أحياناً من القتل الجماعي.. وسرقة الطائرات والخطف والتفجير الانتحاري وإشاعة الخراب والدمار وإهلاك الحرث وكل ما يعرقل مسيرة البناء.. متخذين أيديولوجية في إفسادهم.. وسائل العصر الحديثة.. في الفتك الشامل والتدمير الجماعي مما لا تقره الشرائع السماوية ولا ترضاه العقول الواعية المميزة بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة.. ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾...

ويأتي ما يوجب ذكره في هذا المضمار ما تلجأ إليه بعض النفوس البشرية المريضة الواهمة المشربة في أفكارها ومعتقداتها بغسيل المخ.. أو المتوارث من تقاليد هجينة مغروسة في أذهانهم أحياناً بأن الشرائع السماوية تحث على العنف وكُرْهٍ من على غير دينهم أو ملتهم ومن لا يتفق معهم في ميولهم الفكرية أو معتقداتهم المغسولة بها عقولهم الملوثة بالحقد والأدران فلا تحمل غير الفتك والسحق في أيديولوجية معارضتها الهدامة.. شعارهم هو من لا يكون معنا على طول الخط فهو عدونا على طول الخط.. وما سلب منا لن نسترده إلا بالقوة.. ولو كانت تلك القوة مهلكة للطرفين.

إن المعارضة الهدَّامة الحاقدة وأساليب اللجوء إلى إشعال الفتن وتدمير كيانات المجتمعات بالعنف القاهر إنما هو إفساد في الأرض حتَّت شرائع السماء على استئصال الشرِّيرين المتلبِّسين به والاقتصاص منهم واجتثاث جذورهم لأنهم يحادون الله سبحانه فيما يفعلون.. ويحاربون تعاليم الصلاح والخير وإعمار الأرض التي جاء بها رسل الله وأنبياؤه وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾..

وكل الشرائع السماوية تحث على الحب وتدعو إلى الإخاء: والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾..

ونشأة الشر في الغرائز الضعيفة في بعض النفوس إنما هي بذور زرعها أعداء الله سبحانه، وأعوان إبليس اللعين سَوَّلُوها في غرائز بعض حديثي العهد بالدين في الماضي من الذين لم يفقهوه ويتدبروه وتوارثه بعض أدعياء الدين من المعاصرين؛ فَلَصَقَتْ بهم تعاليم شريرة لإثارة الضغائن المغروسة في ضمائر بعض البشر مع الزمن في جهالة بعض العادات الهجينة الموروثة في تقليدٍ أعمى ضال والتي يبدو لكل بصيرٍ دَسُّ معالم التشويه فيها لقداسة الدين وتعاليمه السمحة التي أنزلها الله رب العالمين رحمة للعالمين..

وكل رسل الله سبحانه وأنبيائه **صلى الله عليهم وسلم أجمعين**.. وكل المصلحين المتواترين في حقب السنين ما كانوا إلا بالحب وإلى الحب داعين.. وبالحق ملتزمين.. وعلى درب الهدى في مواكب العمل البَنَّاء سائرين!!!...

وتحضرني بالمناسبة واقعة تدعم صواب قولي وتسدد وجهة نظري.. في مغزى مفهومها حدثت حيثيات وقائعها لأحد المستشرقين المسلمين المعاصرين الذي درس «القرآن الحكيم» وحفظه وتدبره وحفظ معظم أحاديث رسول الله سيدنا محمد ﷺ في أسانيد الصحاح وَأَلَمَّ بها، ونَقَّبَ وبحث وتَعَمَّقَ في دراسة التفاسير للقرآن الكريم والسنة الشريفة وأصولهما واللغة العربية وعلومها وقرأ وتفقه في معظم الكتب مما تحويه كبريات المكتبات العالمية في كل ما يتعلق بهذه المضامير المؤلفة على مختلف العقود من السنين.. لمشاهير الباحثين من علماء وفقهاء.. ومجتهدين..

هذا المستشرق المسلم العالم ضِمْنَ ما دُعِيَ إليه من دعوات لمحافل دولية وندوات عالمية وإقليمية سابقة.. كان فيها مبرزاً مجلياً دُعِيَ إلى لقاء بعدد من بعض الواهمين المغسولة عقولهم بما شوهت به قداسة الدين في تعاليمه من أدران وأفكار واجتهادات معظمها ورثوه دون تبصر وتدبر وفهم وهي ليست من الإسلام «البَتَّةَ» اتخذوها زاعمين أنهم هم أحبار الإسلام ودعاته والأوصياء عليه.. **وهو العارف ذلك المستشرق المسلم المؤمن** بأن الإسلام دين الحق لا يأتيه الباطل وضمن الله عز وجل حفظه وصانه.. وأنه

لا كهنوت ولا رهبانية في الإسلام.. وبأسلوبهم الحاقد الموغل في جهالتهم بسماحة الإسلام.. **حاوروا المستشرق** المسلم الواعي الدارس بعمقٍ فيه.. هداه الله سبحانه إليه وأنعم عليه بالتفقه فيه وتلك منَّة وفضل عظيم من الله سبحانه ـ حَاوَرُوه حوارات بعضها واهية أدحضها بحجج قوية في دعائمها بما يحفظه من القرآن الحكيم مستشهداً بها وبأحاديث نبوية شريفة مُجْمَعٌ على صحة أسانيدها ولكنهم يستندون في فهمهم لها على تفاسير مبهمة متوارثة لبعض من المجتهدين في القرون الأخيرة السابقة لقرننا.. دون تفهم. وإدراك لمدلولاتها وكلياتها ومفرداتها ومعانيها.. وقد حاول تبصيرهم وتوعيتهم وإعادتهم إلى درب الحق.. **غير أنهم لجأوا إلى الطعن** في شخصه وثقافته وعلمه واتهامه بأقصى الاتهامات المشفوعة باللعنة والتشكيك في سلامة إيمانه بعيداً عن الموضوعية وسياق الحوار معهم.. والكل منهم له رأي يقاتل في إثبات سداده من لا يقره عليه أو يأخذ به.. وكل تلك الآراء تحكي ضيق أفقهم وقبح فكرهم!!!..

فتركهم وهو يقول: ـ أحمد الله الرحمٰن الرحيم الخبير العليم البصير أنني عرفت الإسلام قبل أن أسلم وأحمد الله رب العالمين كثير الحمد إذ أنعم عليَّ عز وجل بالإسلام ديناً أعتز باعتناقه وأبشر بتعاليمه السمحاء المنزلة رحمة للعالمين.. قبل أن أحاوركم وأستمع إليكم هداكم الله سبحانه وإياي إلى سواء السبيل..

ضربت هذا المثل أنموذجاً في صورته على شاكلته كثير وأنا

في مجال الاسترسال في طرح وجهات نظري عن اختلاف الرأي.. والحوار البناء.. ونبذ العنف والحقد والكره للآخر ولصق الاتهامات وإثارة التشنيعات الكاذبة والطعن واللعن لمن خالف في الرأي وتأليه صاحب الرأي لذاته.. والتعصب الأعمى المقيت بدوافع عرقية أو مذهبية.. ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

«غيفارا وابو ذر»

غيفارا المعارض الدموي وابو ذر المعارض البناء اللذين.. ارتبط اسمهما بالمعارضة.. **فاعود ثانية فأتحدث** عن أساليب العنف التي يلجأ إليها بعض المرضى الحاقدين والواهمين في العقود الأخيرة من عصرنا متخذين من الأسلوب الدموي أيديولوجية لهم والتي بدأ نشوؤها كما أعرف في أمريكا وأوروبا وأطلقوا عليها: حرب «المنظمات التحريرية».. مما يدفعني ويوكزني فأشير إلى أبرز مبدع لها في الخمسينيات وما يثار بين الفترة والفترة من السنين الأخيرة عنه وأعني به الثائر الكوبي الدموي «أرنستو تشي غيفارا» وما يقال عنه مؤخراً بصدد نقل رفاته إلى «كوبا» من ذي قبل مما أوجب نوعاً من العودة إلى مفهوم المعارضة ومفهوم النضال في المعارضة.. عندما تكون المعارضة مقاتلة مسلحة تأكل الأخضر واليابس في معارضة هدامة.. وعندما تكون المعارضة حواراً قائماً على مقولة لسان الحق والنصح في معارضة بناءة!.

وإنني لَقَمِينٌ بأنه ليس هناك مجالُ مقارنةٍ بين مَثَلَيْنِ من أمثلة المعارضة بنوعيها ومفهوم النضال بينهما.. كما روج اسميهما اتباع غيفارا مع اسم أبي ذر على أنهما على مسيرة نضال معارضة واحدة.... أضربهما للناس مثلاً!!!...

رمز المعارضة الهدامة المعاصر تشي غيفارا وهو مثل لا يختلف عن أمثاله سالكي دربه المدججين بالسلاح يروعون ويسفكون الدماء ويخربون ويهدمون والغون في إثم الإفساد مما أعزم العقلاء على محاربتهم ونبذهم ليعيشوا حياة روع وهلع وتشرد في الأدغال والكهوف والعيش في الظل بما اقترفوه. ونادت شرائع السماء باجتثاثهم من المجتمعات البناءة!. ورمز المعارضة البناءة بالحوار ولسان الحق «أبو ذر الغفاري». وهو مَثَلٌ.. أمثاله أُورِدُوا في صفحات مشرقة من سجلات التاريخ وفي أيامنا كثيرون من مشاهير المعارضين البنائين في شتى البلدان وسائر الشعوب الراقية.. ولا أدري لماذا يفوتنا في كثيرِ مناسباتِ الاستشهاد والاستدلال بمواقفهم؟؟؟...

وفي التاريخ القديم والمعاصر.. الكثير.. الكثير عنهم والكل منهم رمز للمعارضة البناءة.. ويأتي مثلاً لهم واحد منهم كما قلت كان رمزاً للمعارضة البناءة في مسيرته الحياتية ألا وهو المناضل المسلم الصحابي الكبير أبو ذر الغفاري ﷺ الذي قاد بإيمانه ولسانه الناطق بالحق حملةَ معارضةٍ بَنَّاءةٍ حكيمةٍ تعجز عنها حملات السيوف المشهرة.. حينئذٍ.. تحقيقاً لوصية حَمَّلهُ إياها الرسول

الأعظم سيدنا محمدﷺ وكان سادس من دخل الإسلام وأول من دخله من «غفار» القبيلة التي كانت لا يدرك لها شأو في قطع الطريق!!!..

لقد أحاطت هالة كبيرة بقصة «**تشي غيفارا**» الذي حاول أن يُجَسِّدَ معارضةَ ثورةٍ مسلحة دموية في ـ بوليفيا ـ وهي غير بلده.. في وقت تراجعت فيه الثورات المسلحة، وقد كان في تجربته المحدودة رجلاً واهماً عنيفاً يحاول تصدير ثورته الدموية المعارضة إلى أي مكان.. فكان «**أرجنتيني**» المولد، و«**كوبي**» الانتماء.. واتخذ من «**بوليفيا**» مركزاً لمعارضته الدموية بحجة الدفاع عن آلام الجياع والكادحين، وفي ذهنه حلم كبير مستحيل التحقيق وهو (حرب تحرير أمريكا اللاتينية كلها بدءاً من نقطة مركزية هي بوليفيا)، **علماً أنه لم يستطع** أن يضم فلاحاً واحداً إلى مقاتليه، وهو الذي سبق أن كتب في كتابه «**حرب العصابات**» إن هذا اللون من الحرب ـ دون دعم الجماهير ـ بداية كارثة محققة، وتحقق حدسه وصدق ظنه وأسر جريحاً، وسحقت جماعته، ومن بين اثنين وعشرين رجلاً بقي عشرة على قيد الحياة، **استطاع الجيش البوليفي** أن يحاصر خمسة منهم، ونجا الباقون، وكان أن اغتيل غيفارا وقطعت أعضاؤه لتنتهي هذه الأسطورة التي ظلت مجرد حلم ساذج.. واللافت للنظر في الموضوع أن اكتشاف رفات جثة غيفارا وإعادة دفنها في كوبا، لم تثر أسطورة الثوري الدموي الواهم، بل كانت مجرد حدث دراماتيكي استغل تجارياً..

فلقد أصبح غيفارا فجأة مطابقاً في زيه للزي الحديث عند غير قليل من الشباب وجعلوه مناسبة تولد اندفاعاً محموماً لكتب جديدة عنه، وأفلام وثائقية وسينمائية حول هذا الأرجنتيني المهووس الذي كان مصاباً بالربو والذي حَوَّلَ نفسه، بقوة وصوليته المشبوهة إلى رفيق مرهوب الجانب للزعيم الكوبي فيديل كاسترو، وكالنجوم اللامعين الآخرين الذين ماتوا صغاراً وفيهم «**جيميسي دين**» فإن غيفارا ظل رمزاً لنوع من الثورة الدموية العنيفة الواهية ولكنها في ثقافة اليوم الاستهلاكية الدائمة التكيف والتبدل، تبرز الثوري الدموي المهووس القديم كبائع على الرصيف يروج بزيه بضاعة مربحة.. فصورته تستخدم الآن لبيع كل شيء من موسيقى الروك والملابس الأنيقة في البيوت الراقية والمطبوعة عليها صورته مروراً بساعات (**سواتش**) وفراليجي (**فيشر**) بل أن حلقة أخيرة من مسلسل (**سيمبسون**) صورت ملهى ليلياً أطلق عليه اسم (**تشي غيفارا**).

وللمفارقة نجد أن كوبا التي رفعت موهومة صورته كقديس أخلاقي تخلت عن الكثير من المبادىء الاشتراكية الواهمة البعيدة عن الواقع والتي أكدت فشلها والتي دفع حياته ثمناً لها، ويباع الآن في كوبا نموذج لقميص غيفارا طبع عليه شعار يقول: «شرف أن تموت واقفاً على أن تعيش جاثماً على ركبتيك» وسعر القميص ١٤ دولاراً وهو مبلغ يفوق متوسط الدخل الشهري للمواطن الكوبي، ولهذا فإن أكثر الذين يقبلون على شراء القميص هم من السياح الذين يدفعون ثمن ما يشترون بالدولار.

غيفارا
ومواقف أبي ذر الغفاري

حكاية «**غيفارا**» تؤكد أن المعارضة لا تكون بإراقة الدماء وإثارة الفتن والقلاقل وتدمير المنشآت بالسلاح إنما هناك طرق بناء واعية حكيمة إذا كان صاحب الرأي المصلح المفيد والنصح السليم مؤمناً بحقه في إبداء معارضته البناءة في مسيرة العمل البناء المثمر لأمته مؤمناً بحقه ورسالته النبيلة في هذا النضال، وهذا تحدثنا عنه سيرة «**أبي ذر الغفاري**» وهو من أبرز الصحابة حول الرسول سيدنا محمد ﷺ.

وكان أبو ذر من الذين يتألهون في الجاهلية، أي يتمردون على عبادة الأصنام، ويذهبون إلى الإيمان بإله خالق عظيم، وهكذا، ما كاد يسمع بظهور نبي يسفه الأصنام وعبادها، ويدعو إلى عبادة الله الواحد القهار، حتى حث إليه الخطى ليعلن إسلامه.. وكان الإسلام في أيامه الأولى.

وأصر على أن يجهر بإسلامه على الرغم من أن معظم الأتباع القلة آنذاك مع الرسول ﷺ كانوا يهمسون بالدعوة همساً فدخل المسجد الحرام ونادى بالشهادتين وكانت تلك أول صيحة في

الإسلام تخدش كبرياء قريش وتقرع أسماعها، فأحاط به المشركون وضربوه حتى صرعوه فأنقذه العباس، عم النبي ﷺ من أيديهم.. وكان العباس رضي الله عنه لم يكن قد أسلم بعد!!..

وقد عاد أبو ذر رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ ومعه قبيلة (غفار) وقبيلة (أسلم) جاء بهم مسلمين إلى المدينة رجالاً ونساءً.. شيوخاً وشباباً وأطفالاً.. بعد أن كانوا قطاع طرق ضالين لا يأمن شرهم سائر يسير في طريق قريتهم.. وهكذا بفضل الله الهادي ثم بجهود أبي ذر أصبح عمالقة السطو وحلفاء الشيطان، عمالقة في الخير وحلفاء للحق.. حتى قال الرسول ﷺ: «**ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلَّت السماء أصدق لهجة من أبي ذر**».

ولقد كان الرسول ﷺ يرى ببصيرته الثاقبة عبر الغيب القصي والمجهول البعيد كل المتاعب التي سيفيئها على أبي ذر صدقه وصلابته فكان يأمره دائماً بأن يجعل الأناة والصبر نهجه وسبيله.

ألقى عليه الرسول ﷺ يوماً هذا السؤال: «.. **يا أبا ذر.. كيف أنت إذا أدركك مترفون يستأثرون بالفيء.. تغريهم دنياهم عن آخرتهم**؟ فأجاب قائلاً: «إذا والذي بعثك بالحق، لأضربن بسيفي».

فقال له الرسول ﷺ: «**أفلا أدلك على خير من ذلك؟.. ادع بالحكمة والموعظة الحسنة.. واصبر حتى تلقاني**».

وقد حفظ أبو ذر وصية معلمه ورسوله، فلم يحمل السيف

الذي توعد به الذين يثرون من مال غير مشروع.. ولكنه أيضاً لن يسكت عنهم لحظة من نهار.

أجل.. إذا كان الرسول ﷺ ينهاه عن حمل السيف في وجوههم، فإنه لا ينهاه عن أن يحمل في الحق لسانه البتار في حججه مبدياً معارضته البناءة في توجيههم ونصحهم في حكمة وأناة تهديان إلى الخير.

وفي صدر عهد الخلفاء الراشدين **رضوان الله سبحانه عليهم** لم تكن ثمة انحرافات يرفع أبو ذر رضي الله عنه ضدها صوته ويلفحها بكلماته اللاهبة وخاصة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتفرغ أبو ذر في صومعته يعلم مريديه من صغار الصحابة وحديثيهم وبعض التابعين **رضي الله عنهم أجمعين**.

ثم بدأ يرى الخطر في استشراء ظاهرة المجد الشخصي وحب الذات التي توشك أن تفتن الذين كان دورهم في الحياة أن يرفعوا راية الله، وهم بعض من أصحاب محمد ﷺ من حديثي العهد بالإسلام، وبعض من أتباع صحابته ﷺ، الذي مات ودرعه مرهونة بين أكوام الفيء والغنائم عند قدميه، ففزع أبو ذر رضي الله عنه إزاء ما يراه ماداً يمينه إلى سيفه وهز به مطوحاً الهواء، ونهض قائماً يواجه المجتمع بسيفه الذي لم تعرف له كبوة، ولكن سرعان ما ذكره ضميره بتلك الوصية التي أوصاه بها الرسول ﷺ فأعاد السيف إلى غمده، فما ينبغي أن يرفعه في وجه مسلم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾.. وأدرك أن ليس دوره اليوم أن يقتل، بل

أن يعترض ويعظ وليس السيف أداة التغيير والتقويم، بل الكلمة الصادقة، الأمينة، المستبسلة.. الكلمة العادلة الجاهرة بالحق التي لا تضل طريقها وتحقق هدفها المنشود وعواقبها الخيرة!. ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

إن كلمة واحدة بناءة داعية للخير يقولها، لأمضى من ملء الأرض سيوفاً فليخرج بصدقه هذا إلى جميع الذين أصبحوا يشكلون بركونهم إلى الدنيا خطراً على أتباع النبي ﷺ الذي أرسله الله سبحانه بدين الرحمة للعالمين هادياً، لا جابياً، وعاتق حرية لا تملكاً، ورحمة لا عذاباً، وتواضعاً لا استعلاءً، وتكافؤاً لا تمايزاً، وقناعة لا جشعاً، وكفاية لا ترفاً، واتئاداً في أخذ الحياة لا افتتاناً بها ولا تهالكاً عليها.. فليخرج إلى هؤلاء جميعاً، حتى يحكم الله بينه وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين.

وخرج أبو ذر إلى معاقل السلطة والثروة في الشام، يغزوها بمعارضته.. معقلاً.. معقلاً.. وأصبح في أيام معدودات الراية التي التفت حولها الجماهير والكادحون، حتى في الأقطار النائية التي لم يره أهلها بعد، طار إليها ذكره، وأصبح لا يمر بأرض، بل ولا يبلغ اسمه قوماً إلا أثار تساؤلات هامة تهدد مصالح المستغلين من ذوي السلطة والثراء غير المشروع وحب الذات وتأليه النفس الأمارة بالسوء..

وكان أبو ذر يلقى على الجموع حوله عندما جاء بلاد الشام

نظرات فاحصة، فيرى أكثرها ذوي حاجة وفقر، ثم يرنو ببصره نحو المشارف القريبة فيرى القصور والضياع ثم يصرخ في الحافين حوله قائلاً:

«عجبت لمن لا يجد القوت في بيته.. كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه».

ثم يذكر من فوره وصية رسول الله ﷺ أن يضع الأناة والحكمة الهادية مكان الانقلاب، والكلمة الشجاعة مكان السيف فيترك لغة الحرب هذه ويعود إلى لغة المنطق والإقناع، فَيُعَلِّم الناس أنهم جميعاً شركاء في الرزق، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأن أول القوم هو أول من يجوع إذا جاعوا، وآخر من يشبع إذا شبعوا..

لقد قرر أن يكوِّن بكلماته وشجاعته رأياً عاماً في كل بلاد الإسلام يكون له من الفطنة والمناعة والقوة ما يجعله معلماً لكل مسلم، وما يحول دون ظهور طبقات مستغلة للحكم أو نهازة تسرق أموال المسلمين.. ذلك رجل لا يريد غرضاً من أغراض الدنيا، ومن ثم أفاء الله عليه بنور البصيرة، ومن ثم مرة أخرى أدرك ما تنطوي عليه الفتنة المسلحة من وبال وخطر فتحاشاها، كما أدرك ما ينطوي عليه الصمت من وبال وخطر فتحاشاه أيضاً، ورفع صوته ـ لا سيفه ـ بكلمة الحق ولهجة الصدق، لا أطماع تغريه ولا عواقب تثنيه.. لا ترغيب يتملكه ولا ترهيب يكرهه.

ومرة ثانية نقول لسنا في مجال المقارنة بين الرجلين، بين

غيفارا وأبي ذر، ولكننا نشير بوجوب الاستدلال بما في تاريخنا وتراثنا من مدلولات ومآثر خلفها لنا الأسلاف.. هي بعض من نضال أصحاب رسالة الحق التي جاءنا بها رحمة للعالمين من الله الرحمٰن الرحيم نذير مطاع وأضرم آمالها في صدورنا بشير مصدق رسول الله المصطفى سيدنا محمد ﷺ فأورثنا إياها.. محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يغفل عنها إلا هالك..

ويذهب بعض الباحثين إلى أن مظاهر الغلو حديثاً (الشدة والعنف وسفك الدماء وإشاعة الإرهاب وإحداث الدمار والفتن) في تطرف جاهل يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعاً يكمنون وراء استخدام بعض الشباب من المراهقين في جهل لفقه الاحتساب الذي أصبح طابعاً عرفوا به تجاوز العنف فيه حدود القول إلى العمل على سفك دماء بريئة وتدمير منشآت وإثارة الفتن مما يسبب عنفهم هذا في أضرار فادحة عليهم وعلى أمتهم، فالمحن التي يتعرض لها بعض الشباب من الأسباب التي ترمي بهم إلى أولئك المفسدين في تهلكة رمتهم إليها محنهم الذاتية بين قبضتي أرعن جاهل غير فقيه بالإسلام يحسب أنه يحسن صنعاً وأنه له باعٌ طويل في معرفة فقه الدين فيتخذ من نفسه مركزاً للإفتاء والدعوة إلى الله متشحاً بمظاهر عالم الدين الفقيه الذي يحتج بفتواه والذي صنع من نفسه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يؤثر على أفكار الشباب غاسلاً أدمغتهم بنظريات دينية متطرفة سوداء في حقدها على كل من خالفه رأياً أو فهماً أو لم يكن على دينه...

كما أن الدين اتخذه آخرون من هؤلاء زياً يتظاهرون به تغطية لأعمالهم وأهدافهم الهدامة الغامضة.. متخذين من وسائل حرب العصابات التي بدأت موجتها في الخمسينيات مع تشي غيفارا في السلاح المدمر الفتاك.. اتخذها بعض الحالمين بكراسي الحكم فلم يصلوا إليها عن طريق الاختيار من قائد الأمة أو الانتخابات ولا عن طريق التنظيمات الحزبية السياسية في العالم العربي والإسلامي.. فلجأوا إلى تنظيم جمعيات ومؤسسات باسم الدين ظاهراً يتعاطف معها معظم المحبين لنشر معالم مثالية وضوح الدين في الأعمال الخيرية التكافلية الاجتماعية والإخوانية فتتدفق عليهم التبرعات عليهم وينخرط فيها بعض الساذجين من ذوي الأمية في الدين وهي في ذات الوقت تبحث عن الشباب الصغار من أولئك الذين يعانون آلام اليتم أو الحاجة أو الخلاف بين الأبوين.. أو من أولئك الذين صدموا بالفشل في دراستهم أو حياتهم الخاصة أو الحب البائس!.. أو أية ظروف تحتاج إلى توجيه رعائي أو لمسة حنان.. أو تعاطف فَيَسْتَدْرِجُون براءتهم وقلة تجاربهم مع ضعفهم الإيماني بالله من قبل ومن بعد!!.. أمام معاناتهم فيغسلون أدمغتهم.. بأساليب إجرامية علمية تربوية نفسية محكمة الإتقان تضمن انقيادهم والانصياع لأوامرهم بشكل تلعب العاطفة المتحمسة دوراً كبيراً في تسييرهم ودرب مسيارهم إلى أهدافهم محدقين بهم من كل جانب حتى يصل تعاطفهم مع ما رسموه لهم إلى درجة من الحماس تؤدي إلى تنفيذ عمليات انتحارية.

«مواقفنا ازاء هذا الوباء»

وبذلك يَغْدُو الفتية الصغار في فترة مراهقتهم مسخرين لأهواء أولئك الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أو أولئك الذين يلجأون من خلاله إلى تحقيق مفاسدهم بأساليب نفسية تتغلغل من خلالها في عقول الشباب، أفكار كلها جنوح عن وسطية الإسلام من غير فقه ولا نظر فيما يصلح وما لا يصلح وما لا يتفق مع تعاليم الله سبحانه ولا يقره ذو عقل رشيد.. أو عامل لخير.. وما يتفق مع تعاليم الله، **إنها لخطورة** فيها أحداث وظواهر يقشعر لها البدن ليس فقط لصعوبة ثقل مناهج المعالجة لهذا الوباء الفتاك الذي يجعل أي ذي عقل ما بين تهوين أو تهويل خاصة عندما يكون من غير المعلوم حجم هذه الظاهرة كمًّا ولا يعرف تأثيرها كيفاً ونوعاً. ونحن ما بين تسطيح للأمور ونفاق للقضايا.. تسطيح يربطنا دائماً بالحدث الطارىء لقضية تثار نربط دائماً مناقشتنا لقضايا غاية في الأهمية وأزمات متواترة تحدث هنا وهناك. **وهو ما يؤدي** إلى أن تضغط علينا الأحداث بما لها أو عليها فنجدها في التصورات وغالباً ما تلقى بظلالها على المحصلات والنتائج ومكمن الخطورة في هذا المنهج هو الوقوف عند حدوث الحدث لتتحكم بنا وقائعه دون العودة إلى أصل القضية وأساسها وحدودها ومن ثم يتعامل هذا المنهج مع الظاهرة بتسطيح شديد يخلط ما بين المرض والعرض والأسباب والظواهر والعوامل والأحداث بشكل تتبين معه أخطاء التشخيص وأخطاء العلاج، هذا عن التسطيح الزائد للأمور،

أما عن النفاق بقضايانا فمظاهره كثيرة ومتشابكة وذلك أن معظم القضايا التي حول أمتنا نتعامل فيها بشكل نفاقي مع حدث مؤقت لا ضمن حدث علينا متابعة حيثياته أو نلهو ونتجادل حولها إما جدل بيزنطة حول مشاكل منفعلة أو جدل الرفاهة التي لا تطاق من مقاعد الراحة أو جدل الإفحام تحركه بواعث شخصية واعتناقات إيديولوجية ومسبقات أو حوار الصم الذي لا يتعامل مع القضايا إلا لينتصر رأي مسبق هنا وهناك فيتحول الجدل من علامة صحة إلى علامة مرض بل وقرينة على استفحاله لا تشخيصه وعلاجه!!..

وربما ليست هذه الأحداث الإرهابية هي المرة الوحيدة التي يفتح فيها باب الحوار حول مثل هذه القضايا بل ملفات قضايانا، التي نفعل إزاءها عملاً وفق مناهج خاطئة ظلت مفتوحة ولا نزال نتعارك ونتجادل ونتحارب حول ملفات هذه القضايا وما أيسر إعادة فتحها بمسميات جديدة وأسماء أخرى بعناصر متجددة ومفردات حديثة، إلا أنها في الجوهر ومن حيث موضوعاتها ومناهج معالجتها ومن حيث حدوثها واستمرارها متكررة نمطية متواترة كل هذا يؤدي بنا إلى اجترار القضايا دون حسم أو حل.

حيثيات الحوار

إن من أهم الضرورات التي ترتبط لترشيد واقعنا الإسلامي الفكري والثقافي والعلمي والحركي.. فكرة الحوار وممارسته في تحقيق قاعدة من الاتفاق على حلول قضايا وأفكار تشخيص وعلاج لقضايا أمةٍ صارت مع تواتر أزماتها وعلاج لقضايا شملت أمتنا

الإسلامية بل وعلاج لقضايا كل عالمنا الإنساني اليوم. التي صارت مع تواتر أزماتها تشير إلى قصور وتقصير من جانب مثقفي العالم اليوم حيال هذه الأزمات وبالذات مثقفي أمة الإسلام إما من خلال عزلة أو ممارسة (**حوار الطرشان**) والحوار محصلة وثمرة لما يعنيه ذلك الاتفاق الكاذب وليس من شأنه أن يحقق ذلك إلا أنه في غاية أمره يقوم إلى جانب تحقيق وتأسيس قاعدة مشتركة في الفهم والرؤية والعمل والحركة إلى تنظيم مناطق الاختلاف وذلك حتى لا يتحول إلى خلاف وتنازع يؤدي إلى الفشل وذهاب الأثر والريح إن الحوار وسيلة بل أهم الوسائل والذي يقوم على أساس أن الاختلاف سنة اجتماعية وبشرية مقررة إلا أنه يجعل في ذات الوقت (**التعارف**) سنة أُخرى مكملة وفريضة والتأمل في معنى التعارف ربما يشير إلى معانٍ ودلالات كثيرة والذي يجعل من الحوار أهم وسائله في تحديد دائرة المتفق فيه أو عليه فما يحدد مساحة الاختلاف التي يواصل من حولها الحوار، فإذا كان لا بد من الاختلاف حول بعضها فما علينا في البداية والنهاية إلا أن ننظم ذلك الاختلاف ونحرر نزاعاته وندقق مناهجه!

وضرورات الحوار تكمن كذلك في أن خطأ الإدراك وسوء الفهم قد خلفه مناخاً مواتياً بين فصائل الأمة الفكرية والمجتمعية مهما كان محدداً أو هامشياً إلى تنازع ممتد زمناً ومكاناً وأطرافاً وصارت في أغلب أمرهم تتنازع بالتصور وإن شئت الدقة (**بصناعة الصورة**) وظلت مكانها المتلاقي على توافرها وعلى يسر تحقيقها

وإن كان تلاقيها عملاً عزيز المنال وهو أمر يجعل المتدربين يتحدثون عما تصوروه قاعدة محكمة تصف حال أي حوار حول القضايا الأساسية أو المصيرية بأن القائمين به وعليه (**اتفقوا على أن لا يتفقوا**) وواقع الأمر أن هذه المقولة صحيحة في جانب حال عدم الاتفاق إلى أن أصبح ظاهرة مستمرة ممتدة وصرنا نتوجه بالحوار إلى مناطق مسدودة بل وأكثر مناطقه فساداً وعفونة وصار العناد والمكابرة متحولاً إلى خصومة رغم أنه يجمعنا منطق السفينة الواحدة كما قال الرسول الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ : «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها.. وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقاً نستقي منه ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً. وإن أمسكوا على أيديهم نجوا جميعاً**» رواه البخاري.

فرغبة المحاور الضعيف في الإفحام أهم من مواصلة الحوار كقيمة حياتية وفكرية وصرنا نتعامل مع الحوار لنشعله شُعلاً ونحن نسهم في تأسيس اتفاق إلا أن هذه المقولة ذاتها (**الاتفاق على أن لا نتفق**) ليست صحيحة دائماً في تشخيص أسباب عدم الاتفاق إلى أنه اتفاق، فالاتفاق عقد رضا واختيار وما أظن أن أحداً يجعل من أمته همه، وقضاياها عمله، ومن صياغة مشروع نهضتنا الحضارية، انشغاله وفكره، أن يوافق أو يرتضي التناحر والتنازع كحالة مرغوبة أو حتمية من الحتميات التي تهم أي حوار!!..

وغاية الأمر أن بعض القضايا التي يثار حولها الحوار **(كأزمات أو تأزيمات)** هي في جانب منها متوهمة وربما متميزة بسبب أو لآخر إلا أن ذلك يجب أن لا يصرفنا عن عملية الحوار كلية بل من الواجب أن نتابع الحوار حول الخلاف على قضايا أخرى أمرها جد ما هو بالهزل والتوجه إلى هذه القضايا بل وتحديدها ابتداءً وطرق صياغة إشكالاتها كل ذلك نقاط بدء الحوار تجري في معناه ومبناه ومبتغاه بالكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين!!!..

أن الحوار لا يعني ـ ولا ينبغي له ضرورة بلوغ قوالب مصبوبة ـ تصب فيها الأفكار والرؤى ولكنه قد يعني أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، والود تلاحم فكري وتكافل أخوي نحن أحوج ما نكون إليه وهو كذلك ـ أي الود ـ قاعدة لتأسيس قواعد وَرَصِّ مَدَامِيكَ البنيان الذي يشد بعضه بعضاً، وإذا ما أردنا صياغة ذلك الود المتراحم والتكافل الأخوي صياغة تأسيس وتأصيل فعلينا أن نحفظه ونحافظ عليه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً لأنه هو القادر على حماية منطق السفينة وهي تجري في بحر لُجِّي تسير إلى غايتها وكذلك فإن الحوار لا يعني مجاملة الذات أو غيرها فإن أمورنا وقضايانا وصلت إلى الحد الذي لا يجامل فيه والمصارحة للمعاني والمكاشفة بالهواجس والخواطر ربما تكون بداية الطريق لتأسيس قاعدة تحدث طبيعة الأرض التي نقف عليها فنقدر للخطى قبل الخطو إلى موضعها الصحيح وكذا فإن الحوار لا يعني مجال **(التخندق)** أو ممارسة أسلوب **(الشرانق الفكرية)** التي تعزله عن

التفاعل والتبادل للأفكار بل هي محاولة للبحث في المشترك وتثميره وتفعيله وتحديد المختلف فيه أو عليه وتحريره وتنظيمه ومواصلة الحوار حوله والحوارات أيضاً ليست مجرد إلقاء كلمات لإبراء الذمة وتدبيج مواقف لإثبات الهمة والثقافة بل لتعظيم إمكاناته وبلوغ ثمراته الطيبة نية وقولاً وعملاً ومن الضروري أن أؤكد فضلاً عن منطقية أن الحوار لا يعرف لغة الاستبعاد لفئة فكرية أو سياسية أو اجتماعية فاعلة هنا وهناك وكذلك لا يعرف لغة البحث والتفتيش عن النوايا والغوص في السراء وهذا فضلاً عن عدم إمكانه فإنه غير مرغوب فيه لأنه (**يفسد الود**) الفكري كحد أدنى فحسن الظن يبعث على الثقة اللازمة لملاحقة ومواصلة الحوار ويتبع قضاياه.

الحوار رسالة اتصالية؟

والحوار في النهاية رسالة اتصالية يجب أن نصر على تنظيمها ومنهجيتها والتزام قواعد آدابها وأخلاقياتها، فإذا كان الاتفاق كمحصلة ليس من حتميات الحوار أو نتائجه دائماً، فإن الالتزام بأخلاقياته وقواعده هي أولى المستلزمات التي تضمن مساره واستمراره وتحصيل ثمرته.

وحوارات أمة تبتغي الأخذ بمدارج كمال نهضة حضارة عصرها مع الحفاظ عملاً وقولاً ونية على قيمها وعقيدتها السماوية الوضاءة يجب أن تسير في مناحي متعددة وبوسائل متنوعة ـ أهمها لا شك

الندوات ـ لأن كثيراً من قضاياها ملتهبة فكرياً ينفخ فيها الفرقاء فتتأزم أو يؤججون لهيبها فيتنازع المتحاورون. . . **مجموعة من الحوارات الفكرية** آن الآوان للقيام بها والاهتمام بمساراتها والبدء فيها مع استمراريتها وذلك في سياق ضرورة الخروج عن إطار صناعة الصورة التي تحيط بمناطق الحوار تلك وتنفجر شظاياها الفكرية بأقصى درجات الإنفجار في المناسبات **وقد تُورِثنَا الخصومة** لا الود والفرقة لا التكامل والنأي «البعيد» عن التراحم تستخدم في الصراع حولها مقولات نمطية، وهي من تكرارها ونمطيتها صرنا نتعامل معها كمسلمات نظنها في الحقيقة والجوهر بل هي في غالب أمرها ربما متوهمةً أو زائفة أو مصنوعة!!!. . . فهي سراب مخادع!!. .

في هذا السياق يمكن اعتبار قضية الفتنة والعنف والإرهاب والدمار باعتبارها قضايا متشابكة ليس مجرد قضايا من النوع الأمني أو الداخلة في سياق التحليل الاجتماعي الذي يقتصر على سبب أو عامل وحيد مفسر أو يغلب بعض هذه العوامل على بعض في ترتيبها أو أوزان تأثيرها في البيئة التفسيرية ورؤية هذه القضية بتأثيراتها وامتداداتها وارتباطاتها وتوابعها عملية في غاية الأهمية ينظر إليها باعتبارها قضية لها صلة بالحضارة ممتدة لا من الجوانب والعناصر ولا من قواعد التفاعل والجدل لقد تجد تفسيرها داخل عمق التأريخ أو في تلافيف مفهوم هنا أو هناك أو ممارسة متواترة ومتكررة في زمان ومكان أو في ذلك جميعاً.

نحن إذاً أمام (**وَهْمِ حلٍّ**) أخطر ما يكون وأقل سوء تقدير حياله أو التغاضي عنه وتركه.. لا يفضي إلا إلى هلاك قد يكون من الصعوبة بمكان تداركه أو تحسينه فما يدور في ذهني.. من وجهات علاجية فيها الحلول!!!... **أعتقد نجاعتها** الشافية لهذه القضية ذات الأهمية البالغة والتي تمكننا من معرفة جذور سريانها فترة العقود الأخيرة من السنين وخاصة استشراء سريانها في عقدنا الحالي!.. ووضع الأساليب في منهاج حلول تسد حواجزها في استمراريتها بل إيقافها ومحوها.. من جسد أمتنا الإسلامية بل من عالمنا الإنساني اليوم؟

إننا في مواجهة «**الإرهاب**» نتعامل مع «**أشباح**» مجهولة المصدر تحمل أسماء مبهمة.. لا نعرف من هم؟ ولا من يوجههم ـ على وجه الدقة ـ ولا من أين جاؤوا؟.. ولا كيف يفكرون؟.. وعلى فرض أنهم جميعاً يزعمون انتسابهم إلى الإسلام.. فهل هم تنظيم واحد؟ أم تنظيمات متعددة؟ وما هي الفروق والتمايزات بينها؟ في تلك الحالة الأخيرة؟

ثم إننا لا نعرف ما هي حقيقة أهدافهم؟ وهل هي فقط مجرد تحدي السلطة؟ ومحاولة إشاعة الفوضى؟ في البلاد؟.. أم أن تلك أعمالهم المشينة، مجرد أهداف مرحلية؟ بينما هدفهم النهائي هو إقامة مشروع «**الدولة الإسلامية**»؟.. وإذا انسقنا وراء هذا المنطق.. وقلنا بما هو تكتيكي.. وما هو استراتيجي من أهداف.. فهل هذه الفوضى التي يريدون إشاعتها تقربهم من

الهدف الذي يزعمونه ؟.. ـ وهل يمكن بناء دولة إسلامية على أنقاض مجتمع خربت مرافقه وضرب اقتصاده ؟..

هل هم فوضويون ؟.. أم حمقى ؟ أم يائسون.. مذعورون ؟.. أم أنهم عملاء لجهات أخرى ؟؟؟

إننا إذا رأينا أغلب المقدمين على تلك الأعمال المشينة المدمرة الآن المنفذين لها هم في أقل من سن العشرين ودون الثلاثين.. **فمعنى ذلك** أن تلك الكثرة من الشباب كانت أقل أو في حدود العاشرة من العمر عندما بدأت هوجة الدمار وسفك الدماء والقتل الجماعي ثم الانتحاري في بدء القرن الهجري الجديد.. **في أكثر** من بلد عربي وإسلامي.. وذلك عنصر في المسألة يدعونا إلى التساؤل عن حقيقة المعامل التي فَرَّخَتْ وَرَعَتْ أولئك الشبان خلال هذين العقدين أو الثلاث الأخيرة. أي منذ بادرة السلام مع إسرائيل ؟.. والمواقف المختلفة حول تلك المبادرة بين كافة الشعوب العربية والإسلامية ؟.. وما يمارس من ضغوط حيال استمرارية بادرة السلام على سائر الدول والمواقف الظاهرة والباطنة حيال ذلك ؟..

ثم إنه يستدعي أسئلة أخرى ؟

أين كانت المجتمعات طيلة هذه الفترة ؟.. ولماذا لم يتم استيعاب أولئك الشباب وضمهم إلى صف مجتمعاتهم بدلاً من وقوفهم ضدها ؟؟.. خاصة أولئك الذين ساهموا في تحرير أفغانستان من الشيوعية في أفغانستان وغير أفغانستان ؟.. أولئك

الذين لم تمانع حكوماتهم في إسهامهم؟.. وكيف نجح المتطرفون في جذبهم وتجنيدهم وغسل أدمغة أكثر من جيل بعدهم؟.. من الشباب صغيري السن؟..

ولو أن صاحب رأي أراد أن يناقش فكر الإرهاب في بلادنا.. وأن يرده.. فأين هو ذلك الفكر؟.. على أي شيء يقوم؟.. وعلى أية حجة من النقل أو العقل يستند؟.. وهل يكفي في مواجهة تلك الحالة مجرد أن ينضم المرء إلى موكب المنددين بالإرهاب والناظمين قصائد تفضحه وتهجوه؟..

على صعيد آخر.. فالذي يعرفه الباحثون الذين يحاولون متابعة هذه الظاهرة المريرة أن ثمة حدثاً كان مشهوداً منذ ثلاث عقود وفي نهاية القرن الرابع الهجري ١٤٠٠هـ المنصرم عندما اندلعت فتنة دينية هوجاء لا ركائز صحيحة إسلامية لها زعمت التفافها حول «**مهدي**» صنعه ظاهراً «**جهيمان**» ومن معه من رجال ونساء وأطفال وقد أعدمت الدولة الرجال وأحالت النساء والأطفال إلى الإصلاحيات بعد محاكمة مكتومة ربما كان من الأنسب عرضها على «**الشاشة الصغيرة**» لأنها فتنة بيد بشرية صنعت.. مغامرة أفراد كاذبة هي ليست من السماء ولكن لم يعرف الرأي العام كنهها وأيديولوجيتها ومتى بدأت.. وكيف كان تخطيطها؟ ومن هم خلفها؟..

بل إن حكومة المملكة العربية السعودية مع الأسف الشديد أخذت تتشدد في عرض برامج تليفيزيونها وحجبت دور المرأة..

حجباً شبه تام.. ولم تسمح بالعرض حتى لأغاني أم كلثوم أو غيرها وما زالت تحجب حتى الأغاني الدينية للمرأة؟

وأصبح هناك تحول كبير في برامج التليفزيون وهو الأكثر متابعة من الناس. في كل البرامج.. فأصبح لعدد غير قليل.. بل أكثر من المعقول بكثير لمجموعة من طلبة العلم الديني التقليديين.. في شكل برامج وأحاديث يَرُدُّنَا أسلوبُ عرضِها إلى القرون الوسطى في برامج جامدة تبث آناء الليل والنهار.. رغم أن معظمها رفيع المستوى العلمي في مضمونه إلا أنه كان بالإمكان تقديم تلك البرامج والبحوث بأساليب تتوافق إعلامياً مع برامج الشاشات الفضائية الأخرى ولو قدمت بأسلوب العصر ووضع مضمونها المعرفي الثمين في سيناريوهات وحوارات لكان أجدى وأمثل في جذب الرائين..

حاجتنا.. إلى توعية لبناء مجتمع اسلامي مثالي

إن معرفة حاجتنا إلى التوعية الإسلامية لبناء مجتمع إسلامي مثالي تتكون دخائل كل فرد فيه مقومات تصل إلى تكوين رأي عام إسلامي عن طريق وسائل الأعلام في بناء الإنسان المثالي الجدير بالإسلام توعية وتربية تقودانه إلى الكمال الإنساني المثالي المسلم، يتوافق مع تطور ذهنية انسان العصر..

فوسائل الإعلام ليست محصورة فيما هو متعارف عليه اليوم بين الأمم ولعله من المناسب أن نعود إلى الحقائق والنظريات

العلمية المقررة في مناهج الإعلام بالجامعات والأكاديميات التي تأتي في مقدمتها تلخيص العناصر للعملية الإعلامية كأنموذج من أشهر النماذج العلمية العالمية التي اكتسبها مكتشفاً لها البروفسور «**هارولد لازويل**» وهي معروفة باسمه والذي حددها بعبارة: من؟ أي المرسل. يقول ماذا؟ أي الرسالة. أي الوسيلة إلى من؟ أي المرسل إليه؟ وبأي تأثير؟ أي رجع الصدى.

لعله من حسن الطالع أن اكتشف أن القرآن الكريم قد أبدع هذه النظرية العلمية وحدد مفاهيمها في قوله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾.

ذلك هو المعنى الكبير. وتلك هي الحقيقة الجلية الناصعة التي يجب أن تستقر في أذهاننا نحن المسلمين والتي تنزلت علينا من لدن الخبير العليم. وهناك كثيرمن آيات قرآنية لها ذات المضمون..

إن وسائل الإعلام تشد الإنسان إلى الأمل وإلى العمل وتقتل اليأس فيه وتقضي على القلق وتزرع في قلبه بذور الخير. والنماء لمستقبل فجر مشرق..

فالإنسان الكامل بذاته وسيلة إعلامية ولا يكتمل الإنسان إلا عندما يقر الإيمان في قلبه ومن ثم يصدق به في عمله وتحضرني بالمناسبة حيثيات واقعة تؤكد أن الإنسان وسيلة إعلامية.. فمنذ قرنين ونصف تقريباً كان بعض التجار من نجد والحجاز والشام

واليمن يسافرون فرادى وجماعات إلى أندونيسيا وبعض دول جنوب شرقي آسيا لجلب البضائع للحجاج في موسم الحج وكان كل من هؤلاء التجار يصدق أيما صدق في قوله وعمله كإنسان مثالي وكانوا عنواناً صادقاً للمسلم المؤمن. والدين المعاملة كما يقول الأثر الشريف فأسلم الكثيرون على أيديهم. والإنسان يولد على الفطرة بين أبويه فمنكم من ينصرانه ومنكم من يهودانه كما ورد في حديث نبوي شريف ومتى أمكن إخضاع وسائل الإعلام الأخرى كالتليفزيون والفديوتيب والإنترنت والسينما والصحف والكتب والإذاعات متى أمكن إخضاعها واستجابتها لما يحييها كما جاء في القرآن الحكيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ متى تم ذلك فهذا يعني أن بذور الإيمان قد زرعت في الإنسان ليغدو إنساناً مثالياً وهذا ما يدفعني إلى إلقاء نظرات خاطفة سريعة عن واقع كل وسيلة من وسائل الإعلام ودورها وأهدافها وكيف يستفاد منها إسلامياً لبناء الإنسان المثالي البناء.

فالصحافة صاحبة الجلالة كما اطلق عليها وعرفت بالسلطة الرابعة لما اتسمت به من أدوات التأثير لأنها صاحبة رسالة ومبدأ هل هي تؤدي دورها في بناء الإنسان المثالي في عالمنا الإسلامي وفي بلادنا بالذات بعد أن غلب عليها طابع الإثارة وجريها وراء الكسب المالي؟ وهل استلهمت تراثنا الإسلامي الروحي والفكري وهل أكدت وجودها بما أفسح لها من مناخ الحرية التي تتباين من دولة إسلامية إلى دولة إسلامية أخرى؟ ومنها بلادنا التي يمكن أن

يقال بأن صحافتنا السعودية **والحمد لله** تتمتع بحرية معقولة وقد تطورت بعض التطور في إخراجها إلا أنها أحوج ما تكون إلى كتَّاب موضوعيين بعيدة عن الشللية وإلى أقلام لا تحول أنهارها إلى المديح والثناء والإطراء فحسب كما أنه من واجبها إصدار أعداد خاصة شهرية وسنوية لإبراز مجهودات العاملين في الدولة وتقديم إحصائيات تقريرية بالأرقام والصور عن منجزات الدولة ومؤسساتها الحكومية والأهلية يمكن الاستفادة منها كمراجع وأن تكون تلك الأعداد الخاصة بعدة لغات لغات عالمية بما فيها اللغة الأم اللغة العربية. **كما أنه من الحق عليها** نشر إنتاج الكتَّاب المغمورين وتقييم إنتاجهم بنقد بَنَّاءٍ فيه التشجيع لما يبدعوه بين الحين والحين ولا يفوتنا بالمناسبة منح حقوق للصحافيين من حيث تأمين مستقبلهم هم وأسرهم لتكون لهم الفرصة الكاملة لتكوينهم الاجتماعي وإثراء ثقافتهم. ولكم أتمنى من أولي الأمر في الدول الإسلامية أن ينزلوا إلى الصحف ليعيشوا أجواء دورها والعاملين بها. **وكيف** يفكرون **وكيف** يكتبون ما لا يعتقدون **وكيف** تلتبس القيم في أذهانهم مما يؤدي إلى إهدار كفاءات ممتازة تتدخل المحسوبيات من خلالها إلى عدم الوزن بالقسطاس المستقيم وتقييم المفكرين تقييماً صادقاً لا يبخسون فيه حقهم والذي أتمناه هو أن يقوم على شأن الصحافة طائفة من الدارسين الواعين والمفكرين المبدعين الذين يرسمون الأمل للقارىء ويغذونه بلبانات الحق فيتغنى بالله ثم بسعادة الإنسان الذي كرمه الله!..

والكتاب عندما سادت الظاهرة المادية وسيطرت غريزة الكسب التجاري على النفس البشرية وانغمس الإنسان في المتعة الجنسية التي حققها التفوق العلمي. سادت الحرية الفاجرة فانغمس الإنسان في إشباع غرٍيزة خاصة بعد بروز النظريات والأفكار المثيرة للغريزة مما أدى إلى رواج الكتاب الجنسي من رواية وشعر حتى أننا لنعجب من نفاذ ملايين النسخ في الأسواق لكاتبة مراهقة في عامها السابع عشر اسمها «**فرانسواز ساغان**» وبكل لغات العالم. وكثيرات وكثيرون انتهجوا دربها فبلغ توزيع ما ينتجون ما يحسدهم عليه في العالم كبار قادة الرأي من المفكرين والمصلحين.

هذا الأدب المخَدِّر المتملق للغرائز ليس في أوروبا فحسب بل في الشرق والغرب ذاع وانتشر مما أدى بالكثير من كتّابنا إلى استغلال مواهبهم الفنية إلى إيصال هذا الأدب المخَدِّر إلى الجماهير في طبعات فاخرة أنيقة وبأثمان زهيدة ولوحات فنية عارية مثيرة والكتاب كما تعرفون من الركائز الهامة الإعلامية لبناء الإنسان المثالي.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الكتاب أن لا يغيب عن أذهاننا المؤلف. المؤلف المبدع المتمكن من موهبته وفهمه وتجربته وعقيدته.. المؤلف المختلط بمواطنيه المعبر عن إحساساتهم وآمالهم وآلامهم المختزن لتجارب التاريخ الطويل في بناء الإنسان منذ أن كان. المستشف بعالم المستقبل بروح صافية ووعي كامل يرافقه التعاطف والغيرة على ثروتنا الإسلامية الفكرية فتكون لها ديماغوجية الفاعلية الإسلامية التي نريد.

ومما يجرنا إلى ما يحيط بالكتاب الذي نريده آنق في الإخراج وأقل في الثمن وأروج في التوزيع يلزمنا أن ننظر نظرة فاحصة إلى الناشر فهو له دوره الرئيسي الهام وهو بدوره تاجر ويريد الربح ووضع المفكرين والكتاب في قبضة تاجر يؤدي إلى نتائج سيئة.

مما يجعلنا نبادر إلى المطالبة بضرورة الأخذ بيد الناشر من قبل الهيئات الحكومية المختصة في عالمنا الإسلامي لمساعدته مادياً وتشجيعه بشراء ما ينشره من كتب، دعامة مغرية ومجدية ليسود الكتاب المفيد وخاصة ما ينشره من كتب لأسماء غير لامعة، وسوف يؤدي الكتاب دوره في بناء الإنسان المثالي متى فهم المؤلف والناشر والمسؤول الحكومي والقارىء واجبات كل منهم إزاء الكتاب البنَّاء.

كما أن الإذاعة وتليفيزيون الفضائيات تطورهما تطوراً تكنولوجياً خطيراً ولذلك فإن من أشد الخطورة إفساح المجال للإذاعات والتليفزيونات ذات الاتجاهات الهدامة المشينة لتشويه براءة وطهر وصفاء الإنسان التي فطره الله عليها واحتواءها للمسلمين في مناحي الأرض بما بلغته تلك الإذاعات المرئية والمسموعة والتقنية الحديثة مؤخراً من تقدم علمي تكنولوجي فلا بد من وضع خطوط عريضة تكنولوجية لتدعيم الإذاعات والتليفزيونات عالمياً تفتح الطريق للبحث والتمحيص في تفصيلاتها تصوغها عقول متفتحة إسلامية نيرة في ظل المفهوم الإسلامي الصحيح لخدمة اتجاهات الإسلام في نظرة شاملة تبسط شعاعها على مشاكلنا

الحيوية وتتخذ من الإسلام «**وحدة القياس**» التي تقاس بها أمورنا الحياتية ومجالاً للتغني بجمال الحياة والكون وتعبيراً عن آمالنا كبشر وصدى حقيقياً لما يختلج في قلوبنا وضمائرنا من معتقدات وأشواق ومشاعر نظيفة ولتكون الإذاعة والتليفزيون باباً مفتوحاً لكل الكفاءات المؤمنة العاملة المخلصة يؤدي كُلٌّ دوره في ظل مفهوم إسلامي صحيح ترسم له الخطوط العامة والسياسة الحكيمة التي تخدم اتجاهات الإسلام في بناء الإنسان المثالي. **وخاصة إذا كان الإنسان أمياً** لا تمكنه أميته من الاستمتاع مباشرة بما تنشره الصحف أو تضمه بين دفتيها الكتب فهو لا يصطدم بمثل هذه القيود عندما يصيخ سمعه للإذاعة أو يشاهد في التليفزيون وكلاهما سريع الصدى والإجابة لما يَجِدُّ من أمور عميق التأثير فيما يعرضه من ألوان وهما وسيلة توجيه ووسيلة إمتاع في آن واحدة على أن يجمع بينهما اتجاه واحد ومسيرة واحدة لبناء الإنسان المثالي. في طريق فكري إسلامي محكم غير ممزق.

أما السينما والمسرح والفيديوتيب. والكمبيوتر والأنترنت أخيراً. فمنذ عشرين عاماً قدر لي مشاهدة فيلم سينمائي غربي عن حياة وآلام سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأفضل السلام قدمه للعالم **سيسيل دي ميل**. . مواقفه وصوره لَمَّا تزل بعد راسخة في عدسة ذاكرتي إلى اليوم وكذلك قدر لي في صغري مشاهدة أفلام لكلارك جايبل وآفا غادرنر لم تزل الذاكرة تحتويها بينما لم تستوعب الذاكرة أي فيلم سينمائي إسلامي شاهدته إلا ما ندر.

إذ أن القائمين على إنتاج أفلامنا من منتجين وممثلين ومخرجين وفنيين يعتبرون السينما وسيلة تسلية لإزجاء أوقات الفراغ غير مدركين خطورتها فالقصص هي هي إن كانت درامية أو كوميدية فهي لا تتبدل إلا بأسمائها ولا تتغير إلا بممثليها ومخرجيها فالوسيلة التي ينتجون بها أفلامهم هي جمال الجسد والمال الذي يصنع الجسد وتأليف القصة يتم في جلسات استرخائية للعاملين في صناعة السينما في أسلوب أبله وهذا هو الذي حال بيننا وبين إنتاج أفلام على مستوى يرضي الله ثم يرضي الضمير فَيَنْطَبع في ذهنية المشاهد تماماً كما تَنْطَبع في الذاكرة تلك الروايات العالمية الحية التي يبدعها سيسيل دي ميل أو مسرحيات برنارد شو الخالدة إلى اليوم في لذعاتها الإصلاحية الفكاهية.

إن صناعة السينما والمسرح عندنا لما تزل بعد في دور نشوئها المبكر مما يستوجب أن يكون زمامها في أيدي ضمائر مؤمنة تدرك خطورة السينما والمسرح ودورهما في بناء الإنسان المثالي خاصة وأن تاريخ حضارة المسلمين تاريخ يطفح بكل القيم والمثل الخالدة لإبراز روح الصفاء والمحبة والإيثار من جديد في الأمة الإسلامية سواء كان ذلك عن إبراز الشخصيات ذات التاريخ الإسلامي الزاهي أو الأحداث التي مرت بالأمة الإسلامية منذ بعثة رسولنا العظيم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ إلى يومنا هذا.. ولنذكر أن الفن بكافة ألوانه صورة تعكس حياتنا.. في أمالنا ووجداننا.. وأضواء مشعة باهرة تُلْقَى على فاعليتنا.. وخادم مخلص أمين لرسالتنا.. وهي

الإيمان بالحب والخير والجمال والحق والعدالة والحرية، تنبع من إيماننا بالله سبحانه عز وجل.

والفيديوتيب وسيلة حديثة لتسجيل الأحداث والوقائع وما تقدمه السينما ويعرضه المسرح من روائع نتمكن بواسطته من الرجوع إليها كل ما دفعتنا الرغبة لذلك.

وعندما نفهم الفهم الشامل الواعي للسينما والمسرح والفيديوتيب والأنترنت وما يتبعه. ونسير في الدرب الصحيح فإنه سيكون إن شاء الله أدوات بالغة الأهمية في التأثير رحبة الآفاق واسعة المدى لبناء الإنسان المثالي.

وهناك وسائل إعلامية أخرى كالمسجد والمهرجانات والمناسبات السنوية المتكررة والمؤتمرات الدورية والحج ومراكز الإشعاع الفكري كلها وسائل يؤدي الإسلام دوره من خلالها لبناء الإنسان المثالي.

هذا عن دور الإعلام إزاء بناء الإنسان المثالي بالإسلام وما طرأ عليه عندنا بعد هوجة جهيمان..

إن الشباب الذين نسفوا بعض الدور لخبراء أجانب للحرس الوطني عام ١٩٩٥م هم من العائدين من أفغانستان.. وقد أفاد بعضهم في اعترافاتهم أنهم هموا بخطف العالمين الجليلين السعوديين الراحلين الشيخين عبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح بن عثيمين.. رحمهما الله تعالى إلا أنهم عدلوا عن تحقيق فكرتهم

وقتها وأجلوها إلى ما بعد.. كما سمعته منهم في التلفزيون.

ثم أولئك الطلبة الأفغانيين الذين نزحوا إلى أفغانستان بعد أن درسوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والذين أطلق عليهم اسم «**طالبان**» أليسوا معظمهم هم الذين حكموا أفغانستان بعد أن أطاحوا بزعمائها الإسلاميين السابقين!.. حكموا حكماً إسلامياً يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فأعطوا صورة كالحة مقيتة سوداء لا تليق بمعالم الوضوح في مثالية الحكم الإسلامي الحقيقي وأكدوا أنهم ليسوا على مستوى الإسلام الذي أنزله الله سبحانه على رسوله الخاتم ﷺ رحمة للعالمين في كل زمان ومكان!..

إن معظم ما كانت عليه البحوث والبرامج في إعلام بلادنا من مناهج الخطب والأحاديث ظاهر فيها العنف الفكري.. والتشدد وفي الصحف لدينا في كثير من الأحايين تثار قضايا غير مفيدة وحوارات أكل الدهر عليها وشرب نوقشت منذ سبعين عاماً في بلدان عربية أخرى. ويهمش مسؤولوها المواضيع الهامة الجديرة بالقراءة حتى ولو تحدثت عن مواضيع جوهرية مصيرية بناءة.. ومنذ هوجة «**جهيمان**» الواهية المشبوهة وظاهرة التغيير الجامد في التليفزيون.. وبعض الصحف.. التي ما كان من المستحسن في رأيي العمل بها.. مع أنها اتسمت فيما مضى في كافة وسائل الإعلام منذ بدئها في عهد شهيد الإسلام «**الفيصل**» أسكنه الله **سبحانه** أعلى عليين في الجنة وأثاب الحسنى كل من كانوا وما زالوا يسيرون في درب بناء دولتنا المجيدة بأسلوبها الإسلامي

الراشد المعتدل الرفيق.. والسالك في إرشاده الإعلامي سبيل التوعية الاجتماعي العلمي في دوره البناء في زرع بذور النماء المشرق بنور وسطية الإسلام بروح عصرية تنبىء عن ميلاد الإنسان المثالي المسلم الجديد.

إن أولئك المفسدين المدمرين القتلة فئة ضالة باتت مفارزها تُصَعِّدُ بين الحين والآخر إرهابها وهي تلجأ إلى الكُمُون والتواري التكتيكي في أجواء الحملات الأمنية الكثيفة.. ولكنها إذا اتخذت موقفاً معاكساً وواصلت أسلوب التحدي.. فهي إما أن تكون واثقة من قوة عناصرها. وإما أن تكون مصرة على الانتحار.

أياً كان أمر تفسير مؤشرات التصعيد فذلك لا يغير من الحقيقة التي أوردناها كما أن المواجهة الأمنية الاستخباراتية ليست كافية وأنها لم تحقق مرادها. كما يبدو لي على ضخامة ميزانياتها.. أين يجتمعون أولئك الإرهابيون ومن يوجههم وكيفية اتصالاتهم وتنقلاتهم وتحديد مواعيد ساعات الصفر ونوعية التخطيط لهم وآليات وكيفية حصولهم على الأسلوب؟ وغير ذلك من تساؤلات تفرض نفسها؟.. إذن؟.. ما العمل؟..

«ما العمل لاجتثات الارهاب؟.»

هل نكتفي بالاستنكار والانتظار حتى نرى نهاية لمسلسل العنف والقتل والعنف المضاد.. أم نتحرك؟ فضلاً عن ذلك بعقل سياسي شجاع.. لنبحث عن مخرج من الأزمة التي فرضت نفسها على

جدول أولويات المجتمعات مما أثر التأثير الكثير على سرعة استمرارية التنمية في مسيرتها..

أحسب أن التعامل السياسي مع المسألة لا يختلف عليه ضمير وطني ولا يختلف عليه أي تفكير سوي.. وحتى لا يلتبس الأمر على أحد فإننا نبادر إلى القول بأن التعامل السياسي البَنَّاء لا يعني استبعاد العنصر الأمني وبالذات الأمني الاستخباراتي.. فهذا الأخير لا غنى عنه بطبيعة الحال شريطة أن يظل محكوماً بالرؤية السياسية البناءة وليس حاكماً لها..

الشجاعة مطلوبة للمراجعة في الموقف الراهن ونقده وتصويب ما يحتاج منه إلى تصويب وإذا سجل ابتداءً بأن قضية بتلك الأهمية تحتاج إلى مناقشة بعيدة عن الصخب ومُنَزَّهَة عن الهوى.. تتم بين أصحاب القرار وأهل الاختصاص والنظر تستهدف الاتفاق على محاور للخلاص الوطني ولإزالة الغمة التي تعكر صفو الأمة وتكدر حياتها!.. **وإذا جاز لي أن أثبت** رأياً في فحوى موضوع هذه القضية الهامة فإنني أنبه ابتداءً إلى ما سبق أن ذكرته في أكثر من موضع من ذي قبل من أن مشكلة الإرهاب اجتماعية تربوية اقتصادية سياسية ألبست زياً دينياً للتغرير فحسب واتخاذ بعض المفاهيم الدينية التي اختلف فيها في كثير من المواقف في أزمنة مضت وعصور سبقت.. **اتخذت تلك المفاهيم** المختلف فيها وسيلة لغسل أدمغة لشباب من صغيري السن في ظروف اجتماعية مروا بها.. لها لونها المرير أو المأساوي.. **أو الصعب**.. خانتهم

فيها الأساليب التربوية الأخلاقية الإسلامية المؤمنة الصابرة في ظروفهم الحياتية الطارئة القاهرة في مدارج الدراسة وعايشوها بين جدران البيت والمجتمع فلم يصمدوا أمامها بإيمان بالله سبحانه واثق بالفرج من الله سبحانه فأصبحت المشكلة فيما بعد فكرية عقدية نفسية.. **وهي مشكلة** وقعت من ذي قبل في أكثر من عصر.. وكل ملة.. وكل مجتمع.. ولكن مقدار الاختلاف يقاس فيها بمعيار كفاءة التعامل معها إيجاباً أو سلباً: أو ضخامة مظهرها وأسلوب هويتها.. وعندما نقول إن الإرهاب مشكلة اجتماعية.. فنحن لا ندعي أن القضايا الاقتصادية والسياسية يجب أن تحل أولاً.. حتى نجد للإرهاب حلاً..

لكن أفرق بين الحل وهو الأمثل وبين الأمل في الحل وهو الممكن...

وأحسب في هذا الصدد أن فقدان ذلك في الحل يسلم الناس إلى حالة من اليأس والإحباط فضلاً عن السخط والتمرد.. وتلك بداية الطريق إلى التطرف ثم الإرهاب.. من هذه الزاوية فإن عملية «**استعادة الأمل**» تصبح من الأهمية بمكان.. وتستحق بحثاً جاداً لدراسة واقع قطاع يمثل الجنسين فيه أغلبية الشباب من هوة اليأس الذي يتخبطون معظمهم في دياجين ظلامه منذ سنوات!.. مما يدعونا إلى إعادة بناء له.. وللأجيال من بعده لا بد من بناء الإنسان المسلم المؤمن بالله الرحمٰن الرحيم الملتزم بأخلاقية الإسلام الحق الذي يعي الاعتدال في كل شيء ويعي الوسط

الحقيقي بين أمور مكروهة.. من اهم دعائمها.. الصبر.. في إيمان بفرج..

فالإسلام دين الوسط لأنه دين الاعتدال في كل شيء وسط حقاً بين أديان تجرد الإنسان للدنيا وأديان تجرده للآخرة.. فهو دين العمل للدنيا والعمل للآخرة.. دين الحق والواجب.. فالشجاعة فيه وسط بين التهور والجبن.. والعدل وسط بين الظلم والضعف.. والاقتصاد وسط بين التبذير والتقتير.. إنه الدين الوسط في كل شيء.. ومن ثم علينا أن ندرك الإدراك التام العميق المؤمن..

أنه أنزله الله سبحانه دين الرحمة للعالمين ديناً للإنسانية كلها ودين المثل العليا الرفيعة في الحياة ودين الفكر والعقل والإتزان.. دين الصبر واليقين والخير في كل شيء يبعث الآمال ويجدد العزائم إنه ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ووسطية الإسلام في الاقتصاد في أنه يقيم التعادل بين حق الفقير وحق الغني. وحق الفرد وحق المجتمع.. ووسطيته في الحكم بما سن من الشورى التي تجمع بين شرائح المجتمع في نظام واحد ينظم حق الحاكم وحق المحكوم وتفرض العدل المطلق على الحاكم وتجعله محاسباً على عمله أمام الله سبحانه ثم أمام الأمة ملزماً بشريعة الله عز وجل والمساواة بين الناس وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وتطبيق شريعة الله سبحانه على نفسه كما يطبقها على مواطنيه أجمعين.

ووسطيته في نظام الأسرة بما فرض من شريعة الزواج وبما أباح للزوجين وبما فرض من المساواة بين الأولاد في كل شيء.. والرضا بالوالدين والأقربين وتقديم النفع للآخرين.. (فالخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) كما ينص بذلك الأثر الشريف!..

والإسلام يقف وسطاً في كل شيء من مطالب الجسد ومطالب الروح ومطالب العمل والسعي في الحياة والملكية الخاصة وحمايتها وحق الفقير في العناية الكاملة وسن الزكوات والدعوات للإحسان في المجتمع. ونَظَّمَ الوقف والزراعة والشركات والمؤسسات الخاصة والعامة، **والإسلام** لا يتجاهل مطالب غرائز الإنسان وطاقاته ومسايرة العصر ومن ثم فهو يحرص على أن لا يقاوم فطرة الإنسان التي فطره الله سبحانه عليها وعلى أن لا يمنع عن الإنسان مطلباً مشروعاً له. **ولكنه يأخذ بيديه** إلى الطريق المستقيم ليصل به ومنه إلى غايات إنسانية مُثْلَىٰ مشروعة وليستكمل حاجاته الضرورية في الحياة على هدي من شريعة الله سبحانه عز وجل.. والإسلام يحث الإنسان على العمل للآخرة دائماً ولكنه يفرض عليه العمل للدنيا لكسب قوته وقوت من يعوله..

والإخاء في الإسلام هو أصل أصيل في بناء دولة الإسلام وقيام الأمة الإسلامية، قال الله تعالى مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الآلفة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ صدق الله العظيم، [آل عمران: ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ والإسلام يحمي الحقوق والحريات.. ومن تلك الحريات.. حرية الاعتقاد والمعتقد فلكل ذي دين حرية فيما يدين به لا يرغم ولا يقهر على تركه ليتحول إلى الإسلام وأساس هذا الحق قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فمن شرح الله صدره وَنَوَّرَ بصيرته هداه الله فدخل فيه على رغبته وقوله سبحانه عز وجل: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] فالإسلام لمن يلتزم به يجعله مثالياً بين سائر الأفراد كفرد وكل المجتمعات كمجتمع، يتأسى به حيثما كان وأينما كان وفي أي زمان كان.. ولغير المسلم أتاح الإسلام ممارسته لعبادته...

إن الإسلام صان لغير المسلمين من الكتابيين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم. وقد اشتمل عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران: «أن لهم جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعتهم».

وفي عهد الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه إلى أهل إيليا القدس نص على حريتهم الدينية وحرية معابدهم وشعائرهم، وأعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر مللهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، كما أن الإسلام يلزم إعانة الذمي وإعاشته عند حاجته.. كغيره من المسلمين ولم يُصلِّ في الكنيسة عمر رضي الله عنه في وقت أدركته الصلاة وهو بداخلها فهناك روايات كثيرة

في ذلك عندما أدركته الصلاة في كنيسة القيامة فلما سأله القساوسة عن تبريره ذلك وهي بيت يعبد الله سبحانه فيه أجابهم قائلاً: «أخشى أن يأتي مَنْ بَعْدِي.. فيقولون.. هنا صلى عمر فيهدمون كنيستكم ويحلون محلها مسجداً وقد صلى في أرض بجوار الكنيسة بنى بعدها عليها مسجد أطلق عليه مسجد عمر بن الخطاب.

وروى جابر بن عبد الله ﷺ قال: «مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال: **أوليست نفساً؟.. إذا رأيتم الجنازة فقوموا**».

وأساس العلاقة مع غير المسلمين من أهل الكتاب قوله سبحانه تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

وهذا الحكم فيمن هم في غير بلاد الإسلام أما المواطنون المقيمون في دار الإسلام أو المقيمون المحدودةُ أوقاتِ إقامَتِهم فهم ركاب سفينة واحدة في الوطن.. شركاء فيه يعملون على نهضة المجتمع ورقيه ونذكر أساس العلاقة كذلك من سنة الرسول ﷺ فقد قال: «**من ظلم معاهداً أو انتقص حقاً له أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة**»..

وقال ﷺ: «**من آذى ذمياً فأنا خصمه.. ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة**»..

وقال أيضاً ﷺ: «**من آذى ذمياً فقد آذاني.. ومن آذاني فقد آذى الله سبحانه وتعالى**»..

وروى البخاري أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عالية، وقد كان في وسعه أن يقترض من أحد أصحابه. ولكنه أراد أن يعلم أمته.. وقبل النبي ﷺ الهدايا من غير المسلمين واستعان في سلمه وحربه بغير المسلمين حيث ضمن ولاءهم ولم يحذر منهم شراً أو كيداً.

ولقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً شيخاً ضريراً يسأل فسأل عنه فعلم أنه يهودي. فقال له: ما ألجأك إلى السؤال الذي أراك عليه؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها وأرسل إلى عامل بيت المال: انظر هذا وأضرابه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبابه ثم نخذله عند الهرم وأمره بصرف جراية له شهرية من بيت مال المسلمين!..

وبذلك العمل السامي الباهر وبتلك المثاليات المُشَرِّفَة مع من كان على غير دين الإسلام تتجلى سماحة الإسلام في حسن معاشرتهم ولطف المعاملة وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان ويقر الإسلام أن الذميين في بلد إسلامي أو في بلد خاضع للمسلمين له مما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين فيها ويجب على الدولة أن تقاتل عن رعاياها جميعاً وتطبق القوانين القضائية التي تطبق على المسلمين. إلا ما تعلق منها بشؤون الدين نفسه فتحترم فيه عقائدهم فلا توقع عليهم الحدود الإسلامية فيما لا يحرم عليهم!...

فالإسلام كما يتضح يبيِّن لنا أن الحماية المقررة لأهل الذمة وأهل العهد تتضمن حماية دمائهم وأنفسهم وأبنائهم كما تتضمن حماية أموالهم وأعراضهم، فدماؤهم وأنفسهم معصومة باتفاق المسلمين وقتلهم حرام بالإجماع.

كل تلك المعاني السامية أنزلها الله سبحانه على رسوله الرحمة للعالمين، ديناً وسطاً في كل شيء يحمل معاني الحب والخير والجمال لنكون أمة وسطاً شهداء على الناس **فالله عز وجل سبحانه** يقول في كتابه الحكيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

«الاستفادة من تقنية العولمة»

فمتى تغذت الأجيال بلبانات الإسلام بنينا أمة الإسلام من جديد بناءً يكونون فيه على مستوى رسالة الإسلام وما تحمله مثالياته.

وبإمكاننا الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في وقت قصير جداً من السنين لا تزيد عن السنتين أو الثلاث في تغذية الأجيال وزرع بذور مثاليتهم وتهيئتهم ليكونوا بحق نبراساً يضيء الطرق أمام العالمين لا ليريقوا الدماء ويهلكوا الحرث والنسل ولا ليفسدوا في الأرض.

«مسلمو اليوم.. هل هم في مستوى رسالة الاسلام»

إن أكثرية مسلمي اليوم أحوج ما يكونون على مستوى رسالتهم الإسلامية المثالية فلا بد لهم من نقد الذات ومحاسبة النفس في تشخيص ما يعانوه من أمراض لحقت بهم بعد أن اكتفوا من القرآن الحكيم وسنة الرسول العظيم بالتبرك والتقديس من غير أن يضيفوا إلى ذلك التدبر الدائم المستمر فيما أنزله الله سبحانه من وحي مجيد والتجسيد بالعمل لكل ما في ذلك الوحي الأقدس في حياتنا أفراداً وجماعات وأمماً نجسده في قالب الواقع والحقيقة في كل ما ينسب ويرد إلينا ويصدر عنا من قول وعمل وحركة وسكنة أو نظرة أو رائحة أو نية عابدين الله سبحانه كأننا نراه فإن لم نكن نراه فهو يرانا، ملتزمين بقوله سبحانه بكل حسن وهو القائل عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وتحضرني قولة قالها في مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد بإيران في دورة من إحدى دوراته السابقة رئيس وفد بلادنا الملك عبد الله بن عبد العزيز: (إن علينا ما يلزم بالضرورة إصلاح البيوت من داخلها).. وكان وقتها ولياً للعهد..

وهي قولة حكيمة تلزم تنفيذها كل دولة إسلامية منذ أن قيلت.. وفي أيامنا هذه بالذات في هذه السنين التي تجري الأيام فيها كما تمر الشهب فكلنا محاسبون أمام الله في تقصيرنا.. وعدم تحملنا مسؤولياتنا المودعة فينا ولدينا نحن المسلمين اليوم!...

يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا لقد حملنا رسالة الحياة لأنفسنا وللخلق كلهم.. فلماذا نتخلى عن مسؤولياتنا؟ والكل منا يعرف ويدرك ما فرط منا من أجيال قريبة سابقة في الرسالة الخالدة؟ ولماذا تفرق المسلمون وأصبحوا ليسوا في أكثرهم على مستوى رسالتهم؟.. أولسنا ولدنا على أننا أتباع محمد ﷺ، ورثة رسالته والأمناء على تبليغها قولاً وعملاً.. أورثنا إياها ﷺ محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يغفل عنها إلا هالك؟.

لقد هلك قبلنا أكثر من جيل غفل عنها؟.. فهل نهلك اليوم.. نحن أحفاده وأتباعه، إن كل من ولد بعد بعثته هو من أمته ﷺ.. إلا أنهم ولدوا كما هي فطرتهم بين أبوين متوارثين لدين غير دين فطرتهم، فهل ندعهم يهلكون فنأثم معهم فنهلك؟

إن في اعتقادي أن أول شيء علينا أن نلتقي عنده ونجمع القوى عليه هو الرغبة في توحيد الأمة الإسلامية وراء رسالتها الأولى. مع طرح الخلافات الجانبية والمطالب الجزئية والأفكار الثانوية فلا حل ولا علاج لمشكلات العالم اليوم بدون تحقيق هذا الهدف الذي نلتقي عليه ونحاول أن نصل إليه.

وأريد أن أنبه المسلمين إلى أمر هام وهو أن طالب الحياة يستطيع أن يتغاضى عن بعض العراقيل الموجودة في الطريق لأنه حريص على حياته وعلى ما يوفر لها البقاء والامتداد.. فلماذا نتقاتل نحن مسلمي اليوم على قضايا ثانوية وتشغلنا الأفكار التافهة والفروع الفقهية والحواشي العقائدية.. وكل هذا من الممكن أن

يتلاشى من نفسه لو أننا استشعرنا جلال الهدف الكبير الذي يشد قوانا كلها إليه.

وهو الرجوع إلى الحق توحيداً لكلمتنا وإحياءً لنا باستجابة لرسالتنا التي دعانا الله سبحانه إليها ورسوله لتحيينا.

إن ما نعانيه اليوم ونشكو منه في سبيل هدفنا الجليل هذه كأمة واحدة..

يرجع إلى رافدين:

رافد.. قريب منا ونحن الأساس فيه وهو ما انحدر إلينا من مواريث فكرية سيئة عبر تاريخنا الإسلامي الطويل الذي يتأرجح خطه البياني بين الصعود والهبوط. ففي عصور الانحدار الحضاري والثقافي في تاريخنا تكونت تيارات آسنة استطاعت أن تبقى بين طبقات من الأمة وأن تظل تنحدر حتى تصل إلى عصرنا هذا. تاركة موجات فكرية رديئة وأحوالاً نفسية سيئة.

والرافد الآخر: هو سوء اقتباسنا من الحضارة الحديثة التي استطاعت أن تصبغ العالم كله بصبغتها ويظن عدد كبير من الناس أن التحضر والتطور أن يسكن الواحد في ملابس هذه الحضارة أو يأكل «**الهمبرجر**» وغيره بالطريقة التي يأكل بها أولئك المتحضرون. أو أن يسرف في الملذات على النحو الذي يسرفون به على أنفسهم من عري للنساء وابتعاد عن ما يلزمنا به ربنا من قيم اخلاقية وعدم خشية منه وإشاعة للفواحش!..

والتقى الرافدان معاً في أيامنا هذه فوجدنا من الرافد الأول المتناقضات وجدنا من لا يزال يحارب المعتزلة.. ومن يناصر علياً ﷺ ومن يناصر معاوية ﷺ ومن لا يناصرهما.. وما يشبه مثل هذا.. من الحماس لأمرين.. الحكم فيهما لله عز وجل سبحانه!... ووجدنا من الرافد الآخر من ينقل من هوليود أسوأ ما فيها..

إن هذه المتناقضات في أمتنا تحتاج إلى يقظة فكرية عند من يعالجون أمرها. والأمر يحتاج إلى أن نحسن التشخيص فنعرف ما كان في مواريثنا فنرده إلى «القرآن الحكيم» وسنته ﷺ الشريفة فإن هذا ديننا الأقدسي جاء شفاءً للناس ودواءً لعللهم ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ كما قال الله سبحانه في سورة الإسراء.

ولِنَرْسُمَ حضارة لأمتنا التي استطاعت بكتابها المقدس وسنتها الشريفة ولا زالت وستظل بقدرة الله العلي القدير العظيم الخبير البصير العظيم سبحانه أن تسود العالم عدة قرون. وعندما اكتفت أمتنا بالتبرك بهما وتقديسهما ولثمهما فحسب ولم تتدبرهما وتعمل بهما تخلفت واشتد بنا اليأس والبأس.

كذلك لا بد أن ننظر إلى ما نقتبسه من الآخرين. الذين انتصروا بالتجربة والاستقراء والتأمل والملاحظة للكون والتسخير لقواه والالتفات لما فيه مما سخره الله سبحانه لخلقه من خير مع التزامهم بأخلاقيات نحن الذين عرفنا بها ونقلوها منا وفي مقدمتها

الصدق والأمانة والإخلاص في العمل وفي التعامل وغير ذلك من تلك القيم التي خسرناها في كثير من مسيرة حياتنا.. فلا بد لنا أن نعود فنتمسك بأخلاقياتنا ونستفيد من تجارب الآخرين، ونتعامل مع الكون على هذا الأساس..

إن أمتنا الإسلامية مصابة بأمراض متناقضة ومتضادة ولذلك يجب أن يكون التشخيص دقيقاً، وإذا عرفت العلة عرف العلاج!..

ولكن.. لو تساءلت هل يدل استمرار تلك العلل واستفحالها على أنها أقوى من العلاج ومن كل الحلول المطروحة؟ فإنني أجيب قائلاً إن عدداً كبيراً من المهتمين لم يحسن التشخيص. فجسم الأمة يشكو من شدة الألم لكن لا يدري عن الجراثيم التي حملت إليه العلة. ونحن نتألم من مصابنا لكننا ليست لنا القدرة الكافية والجرأة المُنَزَّهَة على مصارحة النفس ومراجعة الذات فلم نعترف بخطأ موقفنا من مواريثنا ولا نبالي أن ننقل من أيام الانحدار ما يزيدنا انحداراً.. في هذه الأيام.

كذلك لم نفرق بين الغث والثمين في الحضارة الحديثة. ولم نحسن الاستفادة من خيرها. وتجنب شرها في كثير من ضروبها..

وقد أثبتت كثير من الأحداث التي تجري بين الحين والحين.. في الدول وخاصة الإسلامية منها أنها تعالج قضايا تلك الأحداث والمصيرية منها وفقاً لرصيد العاطفة المخزون لديها فهل لأمة تريد الكمال في تجانسها مع الأمم الأخرى تحكيم عواطفها في تحقيق إرادتها!؟؟.. العاطفة شيء لا بد منه في الكيان الإنساني وإنما

تعاب العاطفة يوم تكون متحركة في غياب الفكر العقلي.. وأن يكون العقل متحركاً وليست وراءه عاطفة فسيكون عقلاً آلياً ولن يتجاوز مكانه..

نحن نريد أولاً أن نفحص بعقولنا ما يسود من أفكار وما يسيطر على حركاتنا من تيارات فإذا أمكننا أن نعرف الصواب أحببناه وحشدنا له ما لدينا من مشاعر.. إن اليهود وهم شعب لا يوصف بأنه عاطفي ربطوا أنفسهم (بحائط المبكى) استثارة للمشاعر الإنسانية الدفينة نحو ماض لهم يريدون استعادته كما يخططون لذلك ولكن عقولهم متحركة متوازية مع عواطفهم..

إن عواطفنا نحن المسلمين إذا تحركت وراء عقولنا ووراء فكر ثاقب يحدد لنا أهدافنا فطوبى لهذه العواطف فنحن نريدها وتسرنا جميعاً. وأما العواطف الصبيانية أو التلقائية التي تولد لأن بعض الرغبات السارية ذات النزعات الغرائزية أجيبت أو بعض الأهداف القريبة تحققت فإنها عواطف غير مجدية.

ومع ذلك فإنني أجدني مؤكداً أن أمتنا الإسلامية التي تعيش في قاع تاريخنا الزاهي بقيَمه ومناقبه المثالية السامية لا تنسى ولن تنسى واقع ماضيها المشرق بنور ربها فلا بد أن تسعى إلى ما كانت عليه فتستعيد ما فقدته وقد تصل قريباً إن شاء الله سبحانه وفق نشاطها ووفق تحديد الهدف الذي تريد أن تصل إليه.. وإنه لوعد الله سبحانه الحق.. ولا ريب.. وأعتقد أن المؤمنين معي بهذا الوعد الحق وعددهم غير قليل من المهتمين بأمتهم وأنها لن تبخس

مثوبتهم لدى ربهم على جهودهم المبذولة في إعادة الأمة إلى صوابها أو إعادة الصواب إلى أمتنا الإسلامية ولا أبخس نفسي وأملي بالله كبير فقد عانيت ولا زلت في هذا الميدان والحمد لله إنه وعد الله الحق ولا ريب!!!...

كلام لا بُدَّ منه!!

إن الذي تناولته وما جرّني إليه من تشعبات جمة.. في أكثر من ميدان نظرت فيه في دنيا الدعوة إلى الله سبحانه والإصلاح بالإسلام لعالمنا اليوم وما زلت.. **فموضوع الإرهاب** كبير الأهمية في حياتنا اليوم.. وهو موضوع الساعة إن «**الإرهاب**» وعقابيله وما يَرْمي إليه في بعض من مجتمعاتنا من مراميه الغامضة.. **وما يسببه** من آلام وما يحدثه من آهات إراقة الدماء وإشاعة الفساد وما كنا نحسب يوماً أن مواطناً يكون فيه إرهابياً مطية لفاقدي الضمائر وحوش القرنين العشرين والواحد والعشرين تتخذ من الدين قناعاً لها وتحمل الدين الإسلامي المثالي في شرائعه ما ليس منه.. **فالإسلام واضح في نصاعته**.. وفيه الحلال بيِّن والحرام بيِّن!.. يدعو إلى الوسطية وإلى الخير والحب والسلام والفضيلة وإلى ما يهذب النفس ويرْقى بالمشاعر والعواطف ويرتفع بالإنسان المسلم وبمكانة المجتمع الإسلامي إلى المنزلة السامية التي أرادها الله سبحانه لهما. **روح الإسلام** تدعو إلى جوهر نفيس فيه البساطة والسماحة والفكر المنير والتدبير العاقل وقول الكلمة الطيبة والعمل البنّاء المثمر بكل سلال الخير لكل خلق الله سبحانه.. في تعاليمه الواضحة ومبادئه الخالدة وتشريعاته السمحة.. الإسلام انطوى على

طاقات روحية جعلت منه قوى فعالة شملت حياة الفرد وحياة الجماعة.. والخلق.. من جميع الجوانب والشيء المهم في تلك القوى الفاعلة.. أنها كانت أصلاً جذرياً يمس أساس الأوضاع في حياة الخلق وحركتهم في الحياة!

والإسلام كان ومنذ أن أشرق على الكون دين دعوة وتبليغ بالحسنى.. وفكرة الدعوة المستمرة والتبليغ القائم تمكن الإسلام من أن يصبح في أقل من خمس سنوات بوسائل العصر في الاتصال والتقنية مقَوِّماً أساسياً من مقوِّمات الحياة لخلق الله وهو دين للدنيا والآخرة جمع بين الروح والمادة ليكون في رحابته ملائماً ومتوائماً لكل سعادة حياة الخلق في كل زمان ومكان وهو أكثر التصاقاً بحسنى الحياتين الدنيا والآخرة.

والقرآن الحكيم الكريم وهو أعظم كتاب مقدس عرفته الإنسانية في تاريخها الممتد منذ أن كان الإنسان في الأرض.. يجسد للبشرية مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية والمواثيق الأممية والجماعية الاقتصادية والأمنية والدفاعية والاجتماعية والتربوية تؤكده بلاغته القصصية وأحداث العصور والأمم المتتالية على الكرة الأرضية وكل ما يحتاجه قارئه أو سامعه متدبره والعامل به في الحياة العامة والخاصة في الدنيا والآخرة.. وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحي لا وجود له ولا حياة بغير النفس والروح فإن المسلمين لا كيان لهم ولا حياة بغير القرآن الحكيم!.. وسنّة رسوله الأمين ﷺ!..

واللغة العربية لغة القرآن الحكيم وهي لغة أهل الجنة، ولغة آخر العصور المضمون صونها وحفظها من رب العالمين!.. كما هو ثابت في الأثر الشريف. فإن هذه اللغة ـ نفسها هي دعامة من دعائم الحياة الإسلامية وركيزة اعتماد لها وذلك لأنها أعرق اللغات منبتاً وأعزها جانباً وأقواها جلادة وأغزرها مادة وأدقها تصويراً لما يقع تحت الحس وتعبيراً عما يجول في النفس، نزل القرآن الحكيم بلسانها فجعلها أكثر رسوخاً وأشد بنياناً وأقوى استقراراً وأخلد بقاءً وبفضل القرآن الحكيم صارت اللغة العربية أبعد اللغات مدى وأوسعها أفقاً وأقدرها على النهوض بتبعاتها عبر التطور الدائم الذي تعايشه الإنسانية!

واستطاعت اللغة العربية في عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر وترتقي حتى تصل أرقى اختلاجات النفس وليس هناك معنى من المعاني ولا فكرة من الأفكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويراً حياً بارزاً.

إن الإسلام ختام للأديان السماوية وهو بذلك رباط لها من الناحية التاريخية كما كان في الوقت ذاته تصحيحاً لما أصاب الأديان السابقة من تحريفات الفلاسفة والوضعيين.

وبذلك كان هذا كله قوة دفع للفكر الإسلامي وما اتصل به من حياة ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامي على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية، فانتشر طابع العقيدة الإسلامية على فاعلية لم يعرف تاريخ الإنسانية لها مثيل.

ومن وراء كل ذلك هناك الإيمان بالله، سبحانه عز وجل فهو القوة الدافعة الموجهة التي تشد الضعيف من أن يسقط وتمسك القوي من أن يجمح. وتعصم الغالب من أن يطغى، وتمنع المغلوب من أن ييأس فهي صمام الأمان للمخلوق المؤمن بتعاليم العامل بها..

إن إنسان العصر اليوم في مجموعاته.. بات يحيا وكأنه في قرية واحدة.. لما انطوت عليه حضارة اليوم من اتصال وتقنيات وتبدلات جذرية في حياته الخاصة والعامة..

فانتهاء الحرب الباردة.. وطفرة الحداثة المتجددة في التقنية.. والاتصال الناقل الملموس المحسوس في حينه أوجد عولمة لا بدّ من تسخيرها لخير الإنسان وتدارك كل ما فيها من ثغرات سلبية.. مما بات فيه الإنسان في مجتمعاته مدركاً ضرورة التعامل مع ما كل وصلت إليه حضارته اليوم وما يتبعها من تطورات.. مما يقيم بناءً جديداً للإنسان ليكتمل وجوده المثالي مع متغيرات زمانه هذا.. والبناء الجديد يحتاج إلى تبديلات قد تصل عند بعض المجتمعات إلى جذورها.. وإلا فإن تلك المجتمعات ستكون مقفلة داخل سياج ترسف في باطنه بقيود صلبة من أطماع قوى مستعبدة تمتص دمه وجهده لا ترحم فيه إنسانيته في غالب الأحايين وتستغل استهلاك ما منحه الله سبحانه من خيرات كامنة في موطنه ومنها طاقاته البشرية نفسها.. كإنسان..

إن بناء الإنسان الجديد بما تهيأ له من قدرات جديدة

وتغييرات مستمرة لا يستطيع التكيف معها ما لم يتمسك بتعاليم السماء التي شرعها له الرحمٰن الحكيم البصير الخبير والتي أنزلها عز وجل جامعة لما يحقق له السعادة في دنياه وآخرته. وتربيته تربية إسلامية صحيحة يسري فيه الصدق وخشية الله من قبل ومن بعد في كل ما ينسب إليه ويصدر عنه ويرد إليه من قول أو فعل أو حركة أو نظرة أو نية. أو حاسة.. الخ مما صاغه الله عز وجل في خلقه من تكوين بديع..

«ركائز أساسية في مناهج التعليم والتربية»

فلا بدّ من تربية الأجيال على هذه الركيزة التي خلقه الله سبحانه لها وهي أهم ركائز تكوينه يلتزم بمعرفة الله سبحانه معرفة تامة ويتربى على خشيته عز وجل في كل كبيرة وصغيرة فيكون صادقاً مع الله **سبحانه** ليكون صادقاً مع الآخرين ويدرس قدرات الله عز وجل وآياته في خلقه منذ نشوئه البكر دراسة إيمانية يقوم بتدريسها له وتربيته عليها أقوى المدرسين المختصين فيها وخاصة في المرحلة الأولى منذ نشوئه وذلك بصياغة مناهج علمية دينية وتربوية بوسائل التقنية الحديثة بعيدة موادها عن الحشو والتكرار في سن التحصيل العلمي وابتسار وتقليص مدة التحصيل العلمي والتربوي الطويلة في الزمن وأن يكتفي بسنوات أربع كمرحلة ابتدائية وأربعة سنوات ثانوية يبدأ التخصص بعد السنة الثانية الثانوية في المواد التي تشده إليها ويرتاح إلى تلقيها ويتولّه لها حباً وشوقاً ويبرز فيها. ويبدأ تخصصه فيها من السنة الثالثة الثانوية والرابعة

منها يلتحق بالكلية الجامعية التي يرغبها فيتخرج من الجامعة في السابعة عشر أو الثامنة عشر من عمره وبعد مباشرة عمله في مجال تخصصه يتم زواجه فالزواج المبكر في العشرين أو أقل منها بعامين يمكنه في حالة الإنجاب من رعاية أبنائه في سنه الشاب رعاية مباشرة تامة في السنين الحرجة عندهم (**سن المراهقة**)، إذ يقول الإرهابي المعروف أسامة بن لادن أن أسلوب تعامله في تكوين كوادره الإرهابية هو التعامل مع صغيري السن في الخامسة عشر إلى العشرين.. فهم سريعي الاقتناع وتفهم معتقداته التي يدعو إليها باسم الدين والدين منها موقفه معروف.. كما وأنهم غير متزوجين فعاطفتهم بعيدة البعد كله عن الحب الأسري من زوجة وأبناء.. فيخلص بل ويذوب في تنفيذ الأوامر.. الخ.. في حديث تلفازي أذيع لمرات.

وقد حثَّ رسول الله ﷺ الشباب على الزواج وحتى لا تشيع الفاحشة في المجتمعات وليتم استقرار الزوجين استقراراً آمناً سعيداً يمكنهما من إزجاء أوقات فراغهما في البحث والتطوير العلمي كل منهما في مجال تخصصه لينتشر مناخ البحث العلمي في المجتمعات وينتج عن هذا المناخ التطوير والإبداع والابتكار.

إذن فلا بدّ من الزواج في الثامنة عشرة.. بعد أن يتم ابتسار واقتصار سني الدراسة وباتخاذ التقنيات العصرية يُصَوَّغُ البناء القويم للمجتمعات في زمن قصير فيوفر المثالية الكاملة وعوامل تجسيد الإنسان المثالي الكامل. في برامج إرشادية وإعلامية تعليمية تربوية

ركائزها بنّاءة للإنسان الجديد المرسَّخة فيه التماسكات للجذب الأسري الانتمائي في المجتمعات والقضاء على مسببات الإحباط لدى الأجيال المبرءة الصافية النقية المفطورة بشفافية روحها وترسيخ مضادات قوية لصروف الحياة من الإيمان بالله وتلك أهم الركائز في التربية كما قلت وإشاعة روح التسامح والصبر والحب والمعايشة الأخوية مع الآخر مما تتعثر معه أجواء الشر الساعية لتعكير أمزجة الطهر والفضيلة ومحاولة تحويلها إلى الفساد والرذيلة. وخاصة الثغرات السلبية في مجالات الدراسة والعمل وبناء بيت الزوجية..

وكذلك دور المساجد والمنتديات وإلقاء المحاضرات وتداور المحاورات فيما يستجد من أحداث معاصرة وتطورات حياتية تعايشها المجتمعات بشتى شرائحها بأسلوب يتفق مع العصر والمكان فالإسلام لكل زمان ومكان..

ولا بدّ من تطوير مفاهيم الرؤى في المقررات والمناهج الدراسية في الجامعات والدراسات العليا وخاصة في التخصصات الدراسية الدينية بأشكال تتواءم مع واقع العصر وبأساليب العصر ووسائله في مجال بث المعلومات وغرس الحقائق في أذهان المتلقين.. إن في ذلك ضمان له دوره الركائزي في بناء الإنسان المسلم المثالي..

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ فالإسلام لكل زمان ومكان وقد حدثت مجددات حياتية كثيرة لا بدّ

من التعامل معها فقهياً إسلامياً بما يتفق وروح الإسلام، فالاجتهاد مع القياس مطلوب والحاجة إليهما في إلحاح مستمر.

«المرأة دورها أساسي»

وأظن.. أن هناك من يتساءل.. ما بالني أغفلت ذكر «المرأة» في سياق بحثي هذا؟.. إن كل ما أوردته.. هو كلام.. موجه للأمة.. للإنسان.. ذكراً.. وأنثى.. فالمرأة لا تختلف عن الرجل في الإسلام.. لأن الأمة إنما هي خليط من الجنسين.. وقد كرمها **الله سبحانه** فضرب بها مثلاً أعلى للذين آمنوا ومثلاً أعلى للذين كفروا مساويهما سبحانه بين يديه في التشريع الذي سنّه لخلقه وقد قال **جل جلاله وتعالى**: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾. [**التحريم**: ١٠ ـ ١٢].

إن ضرب امرأتي نوح ولوط، وامرأة فرعون ومريم من لدنه **سبحانه وتعالى** مثلاً أعلى لطرفين متناقضين إنما هو يعني أن مسؤولياتها في شتى أمور التكليف الرباني لا تختلف عن مسؤوليات شقيقها الرجل.. فكلاهما مسؤول بين يدي الله **سبحانه** عن كل ما ينسب ويَرِد إليهما ويصدُرُ عنهما من قول أو عمل أو حركة أو

سكنة أو نظرة أو نية أو حاسة.. أي أنه لا تمايز بينهما في التصريف الحياتي..

إلا أنه علينا عدم التناسي في قلة من أمور التصرف الحياتي أن المرأة بالقياس إلى الرجل أكثر شفافية ورقة عاطفة ورحمة وأقل جلداً في مضمار الدفاع أو مواجهة أعاصير الضالين العاتية ذات المراس القاسي والتي منها ما تستعمل فيه.. العضلات.. والقوة الجسدية...

وقد تكون بعض أمور التصرف الحياتية! المرأة فيها أكثر كفاءة وجدارة بمسؤولياتها مما يتوافق مع طبيعة استعدادها النفسي والغريزي في مجالات التخطيط والتدبير الاقتصادي والطب والبروتوكولات السياسية والمرافق الرعوية الاجتماعية والتربوية التعليمية والتوعية الإرشادية والإعلامية والأمن العام الاستخباراتي، والقضايا التي تحتاج فيها المسؤوليات إلى حفظ خط الرجعة والنظرة إلى البعيد.. والجمال السياحي والتكامل الذوقي للمجتمعات.

وقد ذكرت السير وتحدَّث التاريخ عن شهيرات لامعات منهن كما وأن تاريخ الأمة الإسلامية حافل بأسماء الكثيرات الكثيرات.

وفي هذا العام خاضت المرأة الكويتية وفي بعض من دول لم تمثل فيها.. مؤخراً الانتخابات النيابية لمجلس الأمة مرشحة وناخبة... ورغم أنها في نسبة التصويت كانت أكثر من نسبة تصويت الرجل.. إلا أنها مع الأسف الشديد.. منيت بفشل ذريع.

ويا له من فشل.. لم يكن متوقعاً.. مما يجعل المراقب الفطن من شهود العصر يضع أكثر من علامة استفهام؟ إزاء ما حدث وما حدث مثله ويحدث في أكثر من بلد إسلامي..

ولعله من حسن وبركة كسب الوقت أن شاهدت والحمد لله رب العالمين ـ مؤخراً في إحدى القنوات الفضائية ندوة عن إبداع المرأة ودورها القيادي..، شارك فيها نخبة من مفكري الجنسين وتوقفت طويلاً أمام الرأي الذي ساقه صديقنا أستاذ الجيل **الدكتور عبد الله الغذامي**، مفرقاً بين إبداع المرأة وإبداع الرجل وهو الأمر الذي لا يستقيم مع منطق الأمور لأنه يحيي مقولة «**الفكر النسائي**» و«**الفكر الرجالي**» وهي مقولة لا تستقيم مع منطق الإبداع الفكري، فالإبداع هو الإبداع، ولذلك ترفض المبدعات من النساء تقسيم الإبداع إلى «**نسائي**» و«**رجالي**»، وفي ذلك تقول د. **رشيدة مهران** من مفكرات مصر.. أن التسمية بهذا الشكل لا تجوز فهي تعني ببساطة أن الإبداع لا يكون إلا من صنع الرجال. وعندما طرأت المرأة على هذا المجال وضع إنتاجها تحت هذه التسمية ليبقى ما ينتجه الرجال شيئاً متمايزاً عما تنتجه المرأة، أو يعني أن المرأة عاجزة عن أن تخوض بعطائها الإبداعي وعندما تخوض فيه فيجب أن يفرز عطاؤها ليوضع على استحياء تحت تسمية الإبداع النسائي وأي الأمرين لا يجوز أو بالأحرى لا يليق!!.. هذا ما قالته تلك الدكتورة المفكرة!!.

وفي اعتقادي إن الإبداع كما أرى هو الإبداع بصرف النظر

عن نوع الجنس الذي ينتمي إليه، وهنا تشير متابعتنا لإبداع المرأة إلى تأكيد هذه الحقيقة، التي تغيب عن بالنا كثيراً، بسبب المخططات التي رسمها منذ قرون قد تصل إلى الأربع «**الرباعي الماكر المتربص بالإسلام**»، وأقصد بهذا «الرباعي»: الاستعمار والاستشراق والصهيونية، وتبعية جهالة بعض أصحاب القرار في أمة الإسلام عن ما منحه الله سبحانه وتعالى للمرأة ودورها في شتى شرائح المجتمعات.. في القرون الأخيرة.

هذا «الرباعي» المتربص بالمسلمين الدوائر في القرون الأخيرة جعل ولا يزال من المرأة ودنيانا القضية التي ليس لها فصل، والمشكلة التي ليس لها حل، والداء الذي ليس له دواء فيثير كل تلك الشبهات.. في الذهن البشري!!..

إن «الإسلام» ضرب **«المرأة»** مثلاً أعلى للذين كفروا.. كما ضربها مثلاً للذين آمنوا.. فهي لا تختلف في مسؤولياتها الحياتية بين يدي الله عز وجل عن أخيها «الرجل».. وقوامته عليها لا تعني التسلّط عليها وجحد حقها بل هي تعني قيامه بتقديم الود لها بما منحه الله.. من إيجابيات.. لتعطيه رحمة أودعها الله فيها فتظلهما السعادة بتلاحمهما.. بعضاً إلى بعض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ صدق الله العظيم..

إن الكثيرين.. لم يعرفوا بعد.. مكانة «المرأة» في التشريع الإسلامي.. على حقيقتها.. لأنهم إنما يمرون مرور الكرام بدستورنا السماوي الإسلامي الحنيف وهو لكل زمان ومكان..

فتعطلت أدوار المرأة في الأداء والعطاء وتحمل المسؤولية في البناء.. في القرون الأخيرة السالفة من العصور.. التي توارثنا مرارة سلبياتها.. رغم أنها نصف المجتمعات لتصبح في كثير من الأحايين وفي كافة مسيرة البناء للأمة.. مهمشة.. مزوية عن أدوارها... فتغدو مسيرة البناء ضعيفة في مداميك البناء.. لا تقوى على مواجهة أعاصير الأحداث.. وسرعان ما تهوي مع الأيام.. إن نظراتهم إلى المرأة ـ وبالذات نظرة معظم أهل القرار في القرون الأخيرة هي ذات النظرة التي كان ينظر إليها في الحضارات السابقة.. قبل إشراقة فجر الإسلام.. تلك النظرة التي كانت ترى المرأة متاعاً للبيع والشراء.. تتحكم فيها غرائز الرجل كما هي عند الإغريق والفرس والهند والجاهلية العربية.. وها هي المرأة الحديثة في الغرب تصرخ من ظلم الحضارة الغربية لها!!!.. وها هي الكاتبة الأميركية التي أسلمت «مريم جميلة» تعيب على «النسائيين» أي دعاة تحرير «المرأة» المسلمة في العالم الإسلامي ـ تعيب عليهم فهمهم الخاطىء لمعنى «التحرير» على أنه «الإباحية» المطلقة للنساء في تفكيرهم المريض بتحرير «قشري» غريزي تتحكم فيه الشهوة بالإثارة والعري ونبذ القيم لتتمزق أواصر الأسرة وتنتهك حرمات العفة والإباء في شتى شرائح المجتمعات!!..

إن هذه الكاتبة الأميركية ـ بعد اعتناقها الإسلام.. ومعرفتها أحكامه ومعالم الوضوح في مثاليته وتمكنها من دراسة عميقة

لمعاني القرآن الحكيم والسنّة الشريفة وتشريعات الإسلام الحكيمة البناءة.. تدعو بإخلاص إلى أن تعرف النساء المسلمات نعمة الله سبحانه عليهن بهذا الدين الذي جاءت تشريعات أحكامه صائنة لحرماتهن ـ راعية لكرامتهن.. مانحة لهن من الله عز وجل كافة حقوق المرأة والرجل.. خلقهما سبحانه لعبادته.. في إيمان به يوقره العمل الحسن في شتى المجالات الحياتية.. الفانية.. والباقية!!.. وكذلك كافة المخلوقات عابدة له سبحانه...

إنني.. في هذا الطرح.. وعلى إثر ما منيت به المرأة في انتخابات الكويت وغيرها مؤخراً وما تُمْنى به في سائر البلدان الإسلامية في شتى المجالات المشاركة، أدعو وأنبّه.. في دعوة خير.. لإصلاح كياناتنا بأن على مسلمي اليوم في أكثرية الجاهلين منهم بمعطيات الإسلام بأن يدركوا بحق ماهية «المرأة» في الإسلام وأن يعرفوا بتدبر حكيم دور المرأة في بناء أمة الإسلام.. وأن لا يمروا مرور الكرام بما ورد في القرآن الحكيم في آياته البينات وما حثنا عليه صفوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلوات والسلام أجمعين..

لقد آن لهذه الأمة اليوم بما عندها من تعاليم الخلاص والرحمة لكل الخلق متمسكة عاملة بها... آن لها أن تجأر اليوم بين العالمين فتقول برجالها ونسائها هاتفة: ـ أيتها الدنيا.. لا تبتئسي.. ها نحن رجالاً ونساءً «أحفاد محمد» قد عدنا.. من جديد!! بتعاليم الرحمة للعالمين.. من رب العالمين.. لكل العالمين!!..

إن **هذا التكتل الرباعي المضاد لحق المرأة في الإسلام** كان منذ قرابة أربعة قرون هو المسبب في صنع وتخطيط أساليب النظرة الحالية إلى المرأة ومن ثم أصبحت سيطرة الرجل في أذهان الشرائح الاجتماعية على مختلف طبقاتها في سائر الشعوب الإسلامية وباتت وسائله في سريان مستمر مع الأيام تسكب غسيل مخ في ذهنية الرجل توارثه منذ صغره فغدت نظرته ديمومة للمرأة على أنها ليست مساوية للرجل في الذهنية حتى أيامنا هذي.. **وقلة قليلة من أهل القرار** هم الذين يؤمنون بدورها الحق في بناء المجتمعات وأنها لا تختلف عن الرجل في تكوينها الذهني.. تماماً كما الرجل في حدة الذكاء أو متوسط الذكاء.. وقد اعتادت المرأة نفسها على معايشة الرجل لها بهذه النظرة الدونية لها وألفت التعامل الحياتي معها في مختلف سني عمرها..

إن على المسلمين نساءً.. ورجالاً.. في شتى المناحي أن يزيلوا هذه التراكمات التي بسواد جهالتها دنست معالم وضوح مثالية الإسلام عن دور المرأة نصف المجتمع في بناء مثالية الإنسان بالإسلام.. وإن أدوارها ليست مقصورة على ما توارثته المجتمعات الإسلامية من عادات وتقاليد هي ليست من الإسلام منذ قرابة أربعة قرون.. ولقد صحت اليوم واستيقظت فئات ليست بقليلة من النساء في المجتمعات الإسلامية عن سكرة غفلتها عما منحها الله **سبحانه** في الإسلام وأصبحن على مستوى من الفهم الذي يجعلهن يحطمن الأغلال المقيدة بها أيادي النساء وعقولهن.. في عالمنا.. تلك

الأغلال التي حطمها الإسلام. ونادى بكسرها. ومنحها المكانة التي كفلها لها لتحتلها تماماً مع الرجل وأنها شقيقة الرجل في كافة المسؤوليات.. حدد الإسلام فيها مسؤوليتهن بين يدي الله ﷻ عنها!.. مع الرجل..

إن للمرأة الدور الكبير من جديد في عودة بناء الإنسان المثالي وخلاصه من آلامه وتحقيق آماله.. السامية.. بالإسلام.. لأنها تماماً كما الرجل في حقيقة التكوين الإنساني الذي كرّم الله سبحانه به الإنسان.. ابن آدم.. المرأة لم تخلق من عجينة ـ مادة أخرى.. أقل.. أو أحط.. من عجينة المادة التي خلق منها الرجل.. فلها نفس الحقوق ونفس الواجبات وعين الكرامة التي للرجل.. وإنها لتتوازى في اتخاذ القرار مع قرار الرجل والقرآن الحكيم يؤكد هذه الحقيقة التكوينية لكل منهما.. الرجل.. والمرأة.. وفي عدة مواضع كريمة فيه.. فالله عز وجل يقول في آخر سورة التحريم في القرآن الحكيم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ صدق الله العظيم.

وفي التوجيهات النبوية الشريفة: «إنما النساء شقائق الرجال»..!.. وتبحر بنا من مصر الدكتورة/ هدى الصدة أستاذة علم الاجتماع والنفس البشرية عبر تطور السيرة الذاتية للمرأة.. فتقول.. «كان للحركات النسائية في الغرب أثر هام في زعزعة النموذج السائد للرجل الأبيض المتميز الذي شكّل المعايير القيمة في تراث السيرة الذاتية والذي كان يعتبر أن العطاءات.. النسائية تحمل قدراً من الذاتية الشديدة. نتيجة لدعم نضال الحركات النسائية الخيرة إذ بدأت إعادة قراءة تراث السير من منظور نسوي، **فأكد النقد النسائي** على ضرورة الاستماع إلى تجارب وخبرات النساء باعتبارهن عناصر فعالة في صنع الحضارة الإنسانية، كما أزال التعارض المصطنع بين العام والخاص وأصرّ على أن الحياة الخاصة التي تحيا فيها نساء كثيرات هي جزء لا يتجزأ من الحياة العامة ومن ثم أضفى قيمة لسير النساء التي تركز على الحياة الخاصة».

وقد أدَّت هذه التغييرات في الاتجاهات المعرفية والنقدية إلى إعادة النظر في العلاقة بين التاريخ والسير الذاتية فأصبح المؤرخ للتاريخ الجديد يهتم بالثقافة الشعبية لوضع استراتيجية تخطيط الدولة في منهاج يستفيد من خلاله من تلك الروافد للسيرة الذاتية في مشاريع المستقبل الرغيد للأمة!..

وبالتالي دخلت ذوات أخرى في بؤرة الأحداث، تلك الذوات التي كانت مستبعدة أو مهمشة من قبل، إلا أن بعض

أصحاب القرار وكذلك عدد غير يسير من أبناء بلاد الإسلام رجالاً ونساءً توارثوا فأصبحت وراثاتهم تقاليد من حيث هم في نومهم يعمهون دون يقظة أو تدبر ماهية ما عليه المرأة من إقصاء عن دورها الذي يريده لها الإسلام إذ أن في معظم بلاد الإسلام اليوم في العصور الأخيرة من تاريخنا الإسلامي.. لهم مواقف خاصة في موقفهم من المرأة الذاتية، فرغم أن المرأة المثقفة قد قدمت في العصر الحديث إسهامات متميزة في مجال السيرة الذاتية إلا أنها لا تلقى اهتماماً كافياً ولا اعترافاً من قبل اصحاب القرار وكلهم من الرجال..!!!.. **وتلتقط الدكتورة ملك رشدي** باحثة تربوية من مصر الحديث موضحة الصورة الاجتماعية في التعليم الابتدائي المصري وفي معظم البلدان الإسلامية فتقول «.. تشير الإحصائيات إلى أن أعلى نسبة أمية في بلداننا موجودة بين النساء الريفيات والقرويات بل وفي كثير من المدن كما تتزايد الفجوة بين الإناث والذكور كلما اقتربنا من المناطق الأكثر فقراً.. ويعود ذلك إلى التنشئة الاجتماعية التي تميز بين الجنسين. كما تؤكد الإحصائيات على أن عدداً كبيراً من الأطفال يجمعون بين العمل المأجور والدراسة النظامية بحيث لا يمكن للطفل استيعاب العملية التعليمية بصورة ناجحة مفيدة. كذلك فإن مناهج التعليم موجهة للطبقة الوسطى ولا تخاطب أغلبية الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقات الفقيرة، وتعتمد هذه المناهج على غرس مفاهيم العلاقات التراتبية على كل المستويات بحيث تصبح القيمة الأساسية التي تدرس للطفل ومهمته الأولى في الحياة هي الطاعة العمياء، وبالإضافة،

فإن صورة المرأة في المناهج الدراسية هي صورة نمطية تتلخص من خلالها أدوارها في رعاية الأسرة، **أما المرأة العاملة** فهي نادرة الوجود لا تخرج عن كونها مدرسة أطفال أو أمينة مكتبة أو سكرتيرة أو نجمة سينمائية وما شابه». وحيث أن العملية التعليمية لا تقوم بدور أساسي في تشكيل الوعي الاجتماعي للفرد وعوضاً من أن تقوم بدورها إلا أنها تقوم بدور خطير في تكوين العقليات الجامدة الروتينية المتوارثة مما خطط لها منذ القرون الأربع المنصرمة أعداء الإسلام «**الرباعي**» الشرير غير القابلة للتحديث.. وتكريس النظرة التقليدية لأدوار المرأة، في البلدان العربية والإسلامية! **في التزامها الطاعة العمياء** كمهمة أولى لعدو الأمة «الرباعي» الخبيث المتربص بها.. في القرون الأربع الأخيرة التي تعايشها الأمة الإسلامية في غيبوبة «كهف» اللاوعي والتبعية المفرطة لإطاعة أوامر عدوها هذا «الرباعي» المقيت المميت لها!!!..

وكان للدكتورة الباحثة الاجتماعية/ **حسناء الحمزاوي** من تونس صورة أخرى للمرأة في الحكايات الشعبية تقول عنها: «إن وضعية المرأة في المجتمع لا يمكن أن تتغير إلا بتغير الذهنيات، ويمكن اعتبار صورة المرأة في الحكاية الشعبية أحد المؤشرات على ما يدور في الذهنيات الشعبية بهذا الخصوص.. من خلال دراسة الحكايات الشعبية المتداولة في تونس وما شابهها من دول.. تظهر أنماطاً من النساء إما موضوعة في إطار أدوار اجتماعية محدودة كدور الأم الحنونة أو الزوجة المطيعة أو المربية الفاضلة أو السكرتيرة الناشطة، وإما أنها تتسم بصفات وأعمال كريهة كراقصة

أو دمية حسناء تجسد الرذائل والمكائد وجمع المال الحرام بالمكر والأنانية.. ولا تسلم الفتيات الصغيرات من هذه النظرة الدونية خاصة إذا قررن الخروج عما فرض عليهن!.. من تربية جائرة وضنك ظالم».

غير أنني أرى.. وفقاً لوعد الله الحق لله سبحانه عز وجل.. بظهور الإسلام في الأرض هو أن تظهر في أي مكان من أرض الله سبحانه سمات المرأة التي فطرها الله عليها من إيجابيات... ورحمات... وإلا من حيث لا تدري أمة محمد ﷺ.. فإنهم سيحققون آمال «الرباعي» أعداء الله.. أعداء الإسلام ـ الصهيونية ـ والاستعمار والاستشراق وتبعية جهالة بعض أصحاب القرار المغرر بغرائزهم المريضة النرجسية ـ أولئك الذين يتربصون في رباعيتهم بمكرهم وصدهم لدين الحق.. دين الإسلام.. فتتهيأ بذلك الأسباب في غفلة توارث ما تجسد من عادات وتقاليد شابت جوهر الإسلام وصفاء سموه.. لتحول بين أداء «المرأة» ودورها الإسلامي قولاً وعملاً في ذواتهم فيتأسى بهم الآخرون.. مع الرجل في قيادة «**دولة العلم والإيمان**».. إن تقاعس أتباع محمد ﷺ هذا.. ونقص تدبرهم في صحوة بناءة لبعث دين الخير لخلق الله.. حباً وسلاماً وسعادة.. إن كل ذلك لربما أدى ـ لا سمح الله ـ إلى أن يبطىء دور أتباع محمد ﷺ القيادي في تأخر تجسيد وعد الله الحق بظهور الإسلام من جديد بتوفيق منه عز وجل لبناء مثالية الإنسان الخليفة في أرض الله بالإسلام في عالم اليوم.. فيبطىء دور أمة الإسلام

القيادي في تأخر تجسيد وعد الله الحق سبحانه بظهور الإسلام من جديد.. لبناء مثالية الإنسان بالإسلام.. في عالم اليوم.. حيث سيتأخر.. ويتأخر.. كثيراً.. كثيراً.. والأمر لله من قبل.. ومن بعد..

ولا بدّ من الموجهين والعاملين في مسيرة البناء كلٌّ في ميدانه من أداء الدور التوجيهي لحث الجيل ذكوراً وإناثاً على ملء أوقاتهم بالاطلاع المعرفي والبحث التجريبي التطويري في كل ما يجيده الفرد من عمل ينتفع به. فيحاول بذل الجهد في تطوير ما تلقّاه والتعمق في الإحداث والإبداع المفيد. والاستقاء من معين مضامير خاصة تعينه على تطوير مفاهيمه وتوسعة مداركه في مجالات تخصصه واهتماماته وتشجيع المبرزين لإحداث المنافسة الشريفة في الإنتاج الباهي بين شرائح المجتمعات، بما يفيد الإنسانية وهو ما يحثنا عليه دين الحق لنحيا مناخ العلم والإيمان ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ وعند تمسكنا بذلك والتزامه نحظى برضاء الله **سبحانه** علينا ثم رضاء المعايشين من خلق الله وفيه الهدى الأقوم لعمل الصالحات في مجتمع مثالي تلتقي أيدي جميع أفراده ذكراناً وإناثاً في إناء منتج مثمر في سياج المجتمعات التي أبدعها الله سبحانه لنكون خير أمة أخرجت للناس!!..

أبدعها الله سبحانه أن أعضاءها خلفاء في الأرض.. خلفاء

في إعمارها وتجسيد أسمى معاني الحب والتآخي والعمل البناء المثمر والحق والعدل والسلام مؤمنة بالله العلي العظيم القدير من قبل ومن بعد ومدركة القينونات المقدسة المرسومة لها.. **هذه الأمة** التي قال رسولها محمدﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».. متعاملاً الفرد منها مع خلق الله سبحانه كما يريد أن يعامل به.. في كيان تجانس مترابط في تواده وتراحمه مثله كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. الفرد في هذه الأمة يدرك الرقابة عليه من العليم السميع البصير بكل ما يُنْسَب ويرِدُ إليه ويصْدُر عنه من قول أو فعل أو حركة أو سكنة أو نية أو حاسة فالله عز وجل كما نؤمن لا تخفى عنه **سبحانه** خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يهيئ له الله عز وجل الأسباب والمسببات فهو المعبود في السموات والأرضين ملكوت كل شيء بيده وإننا إليه سبحانه راجعون. **وكلها أعمدة فقرية** لا بدّ من توافرها في الإنسان المثالي وبذلك يجد نفسه ليس ضمن فلك العولمة سائراً بل ستفرضه مثاليته بين الآخرين لقيادة سفينة العولمة.. فيتحقق وعد الله الحق: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقال رسول الله سيدنا محمدﷺ في نبوءته الصادقة ولا ريب: «**زُوِيَت لي الأرض مشرقها ومغربها حتى رأيت هذا الدين**

يدرك كل بيت حجر ووبر في الأرض» ولهذا الحديث الصحيح عديد من الروايات الصحيحة.

«شرائع الإسلام لا تناقض شرائع ما سبق من الأديان»

وما أنزله الله عز وجل على رسوله ونبيه سيدنا محمد ﷺ من شرائعه السمحاء المقدسة هي ليست مناقضة لشرائعه السمحاء المقدسة المنزلة على رسل الله وأنبيائه المبعوثين من قَبْله **صلى الله عليه وسلم أجمعين**.. وإنما هي جامعة في جوهرها لكافة ما أرسلوا به هداية ونوراً وبينات من الحق سبحانه: لتقويم ما اعوج من سبل بين الأمم. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ كما قال الله عز وجل.. وكذلك قوله الحكيم سبحانه ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ إن الدين عند الله هو الإسلام وهو الدين المسمى في شرائعه من لدنه عز وجل بالإسلام. والإسلام كما هو معروف لدى كل عارف هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك.

أما ما تواترت عليه بعض الأمم من تسمية ما أطلق على دين

الله.. الإسلام باسم «اليهودية» ديناً المنزل على سيدنا موسى ﷺ فهو مسمى أطلق على المسلمين.. أتباع سيدنا موسى ﷺ عندما أذنب بعضهم فدعى الله **سبحانه** مستغفراً لذنبهم متضرعاً إلى رب العالمين عز وجل باسمهم: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فلصقت بهم وهي تعني أننا رجعنا وتبنا إليك.. فهادوا أي عادوا وآبوا تائبين فتهودوا عائدين طالبين إلى الله سبحانه رضاءه عليهم! وأن يحسن لهم في الدنيا والآخرة وهو اسم حركي مرتبط يحدث!.. وقد قال الله تعالى **سبحانه**: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ **[يونس: ٨٤]**.

والمسيحية نسب بها أيضاً المسلمون أتباع سيدنا المسيح عيسى بن مريم نسبة إلى لقبه ﷺ والنصارى أيضاً مشتقة من «أنصار».. ففي القرآن الحكيم يقول الله عز وجل: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ من هنا يتضح أيضاً أنهما المسيحية و«النصرانية» مسميان حركيان لإسمين معروفين.

وقد ضمن الله عز وجل حفظ القرآن الحكيم من التبديل والتحريف والتغيير فقال **عز وجل**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ ووعد الله **سبحانه** هو الوعد الحق وواقعه ملموس فمن قرأ القرآن الكريم اليوم في طبعته وقرأه قبل عام أو عقود من الأعوام أو منذ أن جمع في مصحف شريف واحد لا يجد فيه

تغييراً لا في زمنه ولا في مكان وجوده.. منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ونصفاً إلا قلة من السنين أنزل وهو اليوم كما أنزل لم يوجد فيه تحريف أو تبديل.. ولعل من أقدم المصاحف الشريفة التي جمعت قبل قرابة أربعة عشر قرناً هجرياً وأقل من النصف هو المصحف الذي كان يتلو فيه الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ عندما أقدم بعضهم على قتله ودمه الزكي بقي على المصحف الشريف ولا زال عالقاً به إلى يومنا هذا كما يؤكد من قدر لهم التشرف برؤيته والتبرك بلمسه أو تلاوته!.. **وذلك المصحف الشريف** وهو من أقدم ما جمع من القرآن الحكيم مما عرفه العارفون. كان في الحجرة النبوية الشريفة ثم في آخر عهد الخلافة العثمانية نقل مع مقتنيات أثرية كريمة أخرى إلى عدة أماكن منها مكتبة الأستانة الكبرى وقد نمي إلى علمي أنه الآن ضمن المحفوظات الهامة في المكتبة الكبرى في طاجكستان.. **والله أعلم**..

أيا كان إن من قرأ هذا المصحف الشريف أو مصحفاً شريفاً آخر في أي زمان أو مكان سيجده غير مختلف عن الآخر.. بينما اقرأ أية نسخة من «الكتاب المقدّس» وفيه التوراة والأناجيل ومعظم الكتب المقدّسة المنزلة من الله رب العالمين إن لم تكن كلها تجد في كل تلك الكتب بلا استثناء من التباينات والاختلافات والتغييرات في كثير من معاني الآيات بينها حتى وإن كانت في بلد واحد ووقت واحد في كل تلك الكتب بلا استثناء وإن طبعت في

التلاوات باللغة العربية أو العبرية لغتها أو طبعت بلغات أخرى وأكد لي أكثر من مثقف وبعض من أعلام من علماء اللاهوت يجيدون العبرية وقرأت لغيرهم من المشاهير أن الاختلاف والتباين واضح في كل ما قرأوه في الكتاب المقدس الحاوي للتوراة والإنجيل وغيرهما في مجموعة نصوصه المطبوعة بالعبرية في عام واحد وفي بلد واحد وخاصة عند طباعته في مطبعة تختلف عن مطبعة أو عند صدوره تحت إشراف هيئة دينية غير الهيئة الدينية الأخرى..

ولقد أخذ الله **سبحانه** الإصر على النبيين أجمعين **صلى الله عليهم وسلم** بنصرة ما أرسل به سيدنا محمد ﷺ وشهد عليهم عز وجل بذلك وأشهدهم على أنفسهم. قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ والإيمان بالإسلام وقيمه المقدسة في طابعها المادي والروحي، إيمان عقائدي عالٍ لا غنى عنه لكل إنسان متحضر في عالمنا، وفي غيره من أقطار الأرض ولكل زمان ومكان، لأن الإسلام خطاب موجه إلى الإنسان باعتباره دين لكل إنسان تتحول عند المؤمنين به تعاليمه المقدسة إلى سلوك في حياتهم، وهذا هو أكبر مميزاتها، ووجه الأهمية في اعتناقها.

«الإسلام.. خلاص الإنسان من مآسيه..»

وإنسان القرن الواحد والعشرين اليوم يريد العقيدة الواضحة البسيطة السمحة التي لا تحجر على حرية الفرد، والتي لا تضع القيود والأغلال في عنق الإنسان.. والتي لا تحد من نشاطه وطموحه وأمله وعزيمته.. **والإسلام** هو أعظم الأديان التي تعطي للفرد حرية الانطلاق إلى آفاق أرحب، والسَّعي إلى حدود بعيدة ممتدة لا يحصرها عقل، ولا يستطيع الوصول إلى آفاقها إنسان، وهو الدين السمح الذي يعترف للأديان السماوية المنزلة من السماء بحرية العقيدة والعبادة **فلا إكراه في الدين** قد تبيّن الرشد من الغي، وهو دين البساطة، دين الفطرة، دين الإخاء والحب، دين لا يتنكر لعواطف إنسان ولا لمشاعره ولا لأحاسيسه العامة والخاصة أبداً، وله حول كل مشكلة حل، وفي كل معضلة رأي إنه دين البناء المثمر لشرائح المجتمعات لكل أجناسها وألوانها وبلدانها في مسيرة عملها تسد ثغرات سلبياته معارضة بنّاءة حكيمة يحث عليها قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ صدق الله العظيم. إنه دين الحياتين السعيدتين أولاها وآخرتها وهو يجعل المرأة شريكة للرجل، زوجاً وأماً وجدة وأختاً وعمة وخالة، ولا يجعل منها خليلة ولا عشيقة أبداً ويمنحها كل حقوقها الدينية والروحية والاجتماعية والمالية.

وحرّم - على الجملة - **كل ما يتنافى** مع الفطرة الإنسانية التي

فطر الله الناس عليها، لأن الدين هو فطرة الله وهو صبغته، ومن أحسن من الله صبغة وهو كل ما وافق الروح والنفس في عقلها وغريزتها.. تزكيها شريعته من قول أو عمل أو نية!.. وضمن إلهام فجورها وتقواها.. وفلاح من زكاها..

وإنسان القرن الجديد يشمئز لمآسي التفرقة العنصرية وينكرها، ولكنه عاجز عن محاربتها، ضعيف الرأي أمام دعاة هذه التفرقة والمتعاملين بها، وهو يريد القضاء عليها، ولكنه يعجز عن تحقيق أمله، وبلوغ هدفه، ولو قد اعتنق الإسلام لقضى على هذه التفرقة العنصرية قضاءً مبرماً دون أي جهد أو أية مشقة. وإذا كانت هناك شوائب عرقية أو قبلية أحاطت أتباع الإسلام أو اكْتَنَفَتْ بعض الجاهلين فهي في فترات طارئة بعيدة عن جوهره وحقيقته وسحابة صيف سرعان ما تنقشع.

وإنسان القرن الحادي والعشرين يقف اليوم عاجزاً عن محاربة الفقر ونشر الرخاء بين الناس، على تعدد مذاهب الاقتصاد في العالم، وعلى كثرة منابع الثروة التي اهتدى إليها، وكشف مجاهلها وأسرارها.. وقد سبق الإسلام فحارب الفقر بمنطقه الواضح العادل البسيط الإنساني دون إثارة لحروب الطبقات التي تثيرها بعض المذاهب اليوم... ولو أن إنسان اليوم اهتدى بنور الإسلام لحل جميع مشكلات الإنسان الاقتصادية، ولتغلب على كل مشكلات الفقر، ولأذاع الرخاء في العالم بين الناس والجماعات والشعوب.

وإنسان اليوم يقف عاجزاً حيال مشكلة الأمية المنتشرة في العالم، لا يستطيع لها تصريفاً.. وقد صنع الإسلام المعجزة من

أجل القضاء على مشكلات الأمية، فأمر بنشر وطلب العلم ورغّبه بين كافة الناس: الرجال والنساء، الصغار والكبار على السواء... ولو قد آمن العالم كله بالإسلام لحل مشكلته المتجسمة في الجهل والأمية حلاً جذرياً عاجلاً على خير ما يتمناه...

وإنسان اليوم يقف عاجزاً حائراً أمام مشكلات الحياة والتعامل مع الآخرين أفراداً ومجتمعات وكيانات... لا يجد قلبه سبيلاً إلى الطمأنينة ولا إلى الأمن ولا إلى الهدوء الروحي... وقد جاء الإسلام فمنح الإنسان وطمأنينته وهدوءه، وكل الأمن، والصفاء الروحي الذي ينشده.. ولو أن الإنسانية آمنت اليوم بالإسلام وطبقت شريعته لمَحَتْ عن طريقها وأزالت من أمامها مشكلات التعايش مع الآخر وأزماتها تجاه الإنسان المعاصر.

إن الإنسانية سائرة إلى الإسلام لأنه الحل الوحيد أمامها لكل مشكلات الحياة المعاصرة. تقول ألمانيَّة أسلمت وأسمت نفسها **فاطمة سي لامير**: «لقد جاء الإسلام كما يأتي النبع الدافىء إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم، فأدفأ روحي وسَرْبَلني بثوب من تعاليمه القشيبة، فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها، وما أعظم منطقها، إن الإسلام دين عصري صالح للتطبيق في عالمنا المعاصر كما كان في عصوره الزاهية».

وليست كلمات هذه الألمانية جديدة بالنسبة لنا نحن المسلمين الذين نؤمن بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

إن الإسلام دين العصر وكل عصر وهو دين أنزله الله الرحمٰن

الخبير البصير بخلقه لكل زمان ومكان متقدم متجدد بكل معنى الكلمة، وهو دين الإنسان الذي يتطلع اليوم ببصره إلى السماء حائراً ينشد الهدى والنور والرحمة والطمأنينة والخلاص فلا يجدها إلا في الإسلام العظيم، منبعه القرآن الكريم، وفي تعاليم الحنيفة البيضاء، وفي مبادىء الشريعة السمحاء: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. إنه الدين لا تبديل فيه ولا تحريف منذ أن أنزل فقد حفظه الله **سبحانه** بقدرته الحكيمة وصانه في ذخريه الأغلى والأحلى من لباناته.. وإذا كان هناك من الذين يظن أنهم يجسدون الإسلام الحق ويظهرون في واقعهم بما ليس في الإسلام فإنما هم قد اعتورتهم جاهلية عادات وتقاليد توارثوها وتبنوها وعملوا بها بلا تدبر ولا تبصر فباتوا وهم ليسوا بكثيرين أحوج ما يكونون إلى العودة من جديد إلى صبغته الحقة ومن أحسن من الله صبغة... عليهم أن يعودوا إلى القرآن الحكيم فيتدبروه ويعملوا به ويتأسون بسنّة رسول الله سيدنا محمد ﷺ ليكونوا بحق من أتباعه الصادقين وعنواناً واضحاً صادقاً للمسلمين العاملين بالإسلام الحق.. يجسدون الحق والعدل والحب والخير والسلام والخلاص من الآلام ليؤكدوا للعالمين أن دينهم إنما هو دين الرحمة للعالمين الدين الذي يبني المثالية للإنسان والخير لخلق الله.. ويجسد السعادة في الدارين.. أولاها.. وآخرتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ صدق الله العظيم.

إن تعاليم الإسلام.. إنما هي التعاليم المُجسِّدة لكل ركائز مثالية الإنسان الكامل لتزول الأدران التي أفسدت حياة الإنسان

• وتنتهي الصراعات أياً كانت تلك الصراعات بين الأفراد والأفراد وبين المجتمعات والمجتمعات وبين الكيانات والكيانات.. وبذلك تكون العولمة اكتمالاً لمثالية الإنسان تحت ظل تعاليم الله سبحانه في الإسلام فتلتقي الروح بالمادة وينشأ مجتمع الإنسان في الأرض التي جعله الله سبحانه عليها خليفة لتكون منتجعاً له.. منتجعاً يسود فيه مناخ الإخاء الصادق والسلام العادل تهيئه تقنية العولمة بأساليبها السريعة في توقيتها والسريعة في توزيع انتشارها في سائر الأرض معمورة بالحق والعدل وضاربة بقوة على رعونة المفسدين الأشرار فيها بسلطان التربية والعلاج النفسي والتوعية الراشدة الحكيمة أو العقاب الصارم الذي يحمل في طياته أعتى العبر وأرسخها لكل نفس تتغلب على غرائزها نوايا الشر للآخرين.. وصدق الله العظيم خير القائلين الحكيم الخبير العليم البصير بخلقه إذ يقول سبحانه عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.. وقوله سبحانه عز وجل ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.. وقوله سبحانه عز وجل ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وقوله سبحانه عز وجل ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ صدق الله العظيم.

«السوبرمان والإسلام»

نشأت في بريطانيا ثورة فكرية جامحة لفكرة.. «**السوبرمان**».. الإنسان المثالي.. الجديد المنتظر.. تبنتها «الجمعية البريطانية الاشتراكية الفابية» التي كان يرأسها الفيلسوف البريطاني الشهير «برنادشو» وهو مبتكر وصاحب فكرة «**السوبرمان**»!!.. وقد وضعت الجمعية هدفها بالدعوة إلى «**السوبرمان**» بين البشرية.. وهي تعني «**الإنسان المثالي**» وأن العالم لا بدّ وأن يتطور فيه الإنسان في حياته الروحية والمادية فيحب أخاه كما يحب نفسه.. ويحب له.. كما يحب لها.. وأن يعامل الإنسان أخاه الإنسان.. كما يحب أن يعامل به.. ولو وصل به حس المشاعر هذا في تعامله كإنسان مع أخيه الإنسان إلى حد إيثاره على نفسه..

ومع مضي الزمن شاعت فكرة «**السوبرمان**» وانتشرت وراجت.. إلا أنها مع سريانها بين شرائح المجتمعات في سائر الدول شابها مع الأسف ولوثها شوائب شائبة تباينت مع مفاهيم المثالية التي أرادها برنادشو ورفاقه فانقلبت إلى فكرة معناها.. هو أن «**السوبرمان**» إنما هو «**إنسان الخوارق**» اللاطبيعية السرابية الواهمة الذي تتوفر في بدنه قوى خفية.. قادرة على امتلاك كل

شيء.. بأساليب القوة الخارقة..من ضرب الخيال **فمثلاً** في أصبع الإبهام لديه سلاح ناري ذري للقتل الجماعي.. متى حرّكه بإشارة إلى سفينة حربية.. أو طائرة نفاثة.. أو مدرّعة ضخمة.. أو قلعة فولاذية.. فإنه يذيبها بمن فيها من خلق وعتاد.. ولا يبقى لها ظل أو أثر.. وكثير من تلك الصور الخيالية الماجنة.. ذاعت وانتشرت بتلك الأفكار المجنونة عن طريق إنتاج أفلام كرتونية مسلسلة للأطفال للتسلية.. وتوسعة مدارك الطفل في عالم خيال الاختراعات الخارقة..

أسموها **السوبرمان** وقد سادت في المعمورة بمفاهيمها الجنونية الخاصة.. إن هذه الفكرة التي لبسها كساء يتناقض مع سمو فكرة «**السوبرمان**» الرجل المثالي الداعي للحب والسلام والقيم.. عند «**برنادشو**» ومن معه في الجمعية البريطانية فكرة «**السوبرمان**» عند برنادشو ومن آمن بها وسار على منواله يدعو إلى ما رمى إليه.. في نسج معاني المثالية الحقة مجسدة في إنسان المستقبل المنشود المثالي في مسيرته الحياتية في سائر المجتمعات بكل ما يحمله من طبائع شفافة وأخلاق حميدة تنشىء عالماً إنسانياً مشبعاً بروح الحب والإيثار والتعاون المخلص بين سائر أفراده.. تلك هي أحلام «**برنادشو**» ومن معه.. جاهدوا.. وتمنوا.. وجودها.. إلا أنهم لم يسلكوا الأسلوب العملي الحق لتحقيق حلم.. «**السوبرمان**» المبتغى.. والذي يعسكر بجمال إشراقه عقولهم.. متلولباً في أذهانهم.. ولو قدرت لهم المعرفة.. بما

جاءت به نفحات رحمات القرآن الحكيم وسنّة نبينا سيدنا محمد ﷺ لأدركوا تماماً كيف تبنى المجتمعات المثالية بدين الإسلام.. وما هي عليه ماهية المسلم المؤمن في حياتيه الأولى والآخرة.. بما حباه الله ﷻ أروع وأسمى من «**السوبرمان**» الذي بولادته حلموا برنادشو ومن معه...

«المثالية في المدينة الفاضلة عند المنادين بها»

وكذلك إذا كانت مثالية الإنسان في المدينة الفاضلة للفارابي أو سومرت موم وغيرهما تجسد أحلاماً فيها أعشاش كعلب الكبريت.. وإذا كانت الطوباويات ينسجها اللاوعي والخيال المغرق في النشوة كما هو عند كارل ماركس في مجتمعه المثالي الشيوعي كما ظن.

فإن الإسلام بمعانيه المثلى وأهدافه الواقعية البعيدة المدى يمكن لأي فئة من الناس أو مجتمع متكامل في أفراده أن يبني لها أو له عالماً أمثل.. وكياناً أبدع في شتى الحقول الحياتية..

ففي الحياة الاقتصادية يهيىء الإسلام للفعاليات المالية استثمار ثرواتها بأسلوب الربح المنعش للمستثمر والمشجع للمستهلك الذي يستشعر الزهو حينما يلمس رياله وهو ينتقل من جيبه الأيمن إلى جيبه الأيسر وبالعكس!.. بدون ربا أو استغلال للفئة العاملة والكادحة الفقيرة من المؤمنين بالله. ولكل خلق الله.. هذا فضلاً عن العلائق الاقتصادية مع الشعوب الأخرى والتي تقوم على أساس حرمة السيادة.. فينشأ عنها الخير والازدهار للطرفين..

والحياة الاجتماعية للإنسان في حمى الإسلام تضمن له المناخ الفسيح الذي يهيىء له الحرية المطلقة التي تنادي بأن حرية الفرد تنتهي حيث تصادم حرية الآخرين.. كما وأنها تضمن للمواطن العيشة الاجتماعية المعتدلة في العيش الكريم عندما يدركه الوهن.. وينظم الإسلام المعيشة الاجتماعية المعتدلة المتدرجة بالتوارث وهذا مفهوم فريد لا يتوفر في أي مذهب من المذاهب الاجتماعية أو عقيدة من العقائد الأخرى.. «لكي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم».. ثم إن الإسلام يكفل لمواطنه أن يحيا كأنه يعيش أبداً وهو يعمل كما هو حاله في العمل للآخرة كأنه يموت غداً!!..

والحياة الاجتماعية الفردية والأسرية في الإسلام تحتم على الابن الطاعة لأبويه والبر بهما وكذلك تلزم الأب والأم القيام بواجبهما إزاء أبنائهما.. بل أنه تُسِنُّ وتُقرِّر وتفرض على الابن الدعاء لوالديه بالرحمة والمغفرة حتى وإن كانا على غير دينه.. بعد الموت والانتقال إلى رحمة الله تعالى.. كما وأن أواصر الرحم ووشائج القربى متينة حانية متعاطفة في الإسلام فهي تدعوهم إلى تمتين الصلات وتبادل المنافع وتكاتف الأيدي وتعانق الأرواح!

أما الترابط الاجتماعي بين الأفراد فوسائله كثيرة.. وفوائده جمة.. وأبوابه غير مغلقة.. لها صلة وثقى بالعلاقات الروحية بين الإنسان وأخيه الإنسان!!..

ثم هناك ضرب من ضروب الحياة الاجتماعية التي تكفل

ازدهار المجتمع ونموه في الإسلام ألا وهي الحياة الزوجية.. تلك الحياة التي سنّها الله أزلياً بارتباط آدم وحواء متعايشين في إطاعة الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه بعيداً عن الواقع المحسوس إلى الواقع الملموس بالتناسل الشرعي والرفادة المرعية.. رقابة الله عليهما ورعايته المرجوة بالفطرة التي يرحم بها البنين بالدين الذي يؤمن به الزوجان لتتجدد الحياة ببلوغ الإنسان أشده!..

ولا أودّ هنا التعرض للسيئات في المجتمعات البشرية ضمن حياتها الاجتماعية التي لم يتهيأ لها سلوك دروب الإسلام الحقة بأسلوب صادق أمين يلتزم به من لا يتخذ الحق والدعوة إلى الله غير ستار يتحلى متظاهراً بها كذباً وتدجيلاً وضلالاً.. إذ أنني أستعرض معالم وضوح مثالية الإسلام!..

وأما المجتمع في الإطار الإنساني فإن الدين الإسلامي يؤسسه على دعائم الفضيلة والبعد عن الرذيلة. فلا فاضل ولا مفضول في الإسلام.. **«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»** و**«لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»**..

وكان الإيثار عنواناً صادقاً بين المسلمين.. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.. حتى أن الواحد منهم كان يقتات مع أسرته فيأتيه السائل.. ويأتيه السائل.. والسائل فيعطيهم ما هو بحاجة إليه ليسد به رمقه ورمق أسرته وعياله.

وتلك الأمثلة المعروفة تشهد بأن الإسلام فيه ما هو أروع من الاشتراكية.. التي أسسها يعتمد على مادة بلا روح، مجرداً من

الإيمان وصدق الإيثار وصفاء العاطفة.. بينما في الإسلام.. «**المؤمن للمؤمن كالبنيان شد بعضه بعضاً**».. وفي الإسلام أيضاً.. «**مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»!!.. كما وأن المخلوقات تترابط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان في الإسلام وخاصة الأليفة منها.. (دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)..

وكما أنه أوصى بإراحة الحيوان المأكول حين ذبحه!!..

وفي تشريعاته الجنائية وسائر تشريعاته خير وسيلة تؤمن الأمن وتيسر سبل العيش الشريف البعيد عن الترف الماجن الباعث على الجريمة والحاث على الرذيلة.. وسماته واضحة.. وخصائصه مميزة بين سائر التشريعات. فهو الذي يضمن سلامة الأفراد.. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.. وليس هناك أية فوارق تهيىء المجال للتخفيف في التنفيذ فرسول الله ﷺ يرسم ذلك بقولته المأثورة الخالدة: «**والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**»!.. كما وأنه لا يلصق التهمة بالمتهم فهو يقول: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**»..

إنني **أدرك** بعمق أكيد وإيمان صادق أنه ما من دولة جعلت القرآن الكريم دستورها في جميع تشريعاته شريطة تطبيقها على سائر أفرادها إلا وكانت أمثل دولة!.. توحي للإنسانية أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. لا تعني شعاراً يرفع وراية تخفق وكلمات

يتبرك بها.. إنما هي تعني ذلك ولكنها إذا كانت العزيمة الصادقة رابضة خلفها تنفذ ما وراء ذلك الشعار كل تعاليم الإسلام تعني وتؤكد أكثر من ذلك بلا جدال لأنها إتباع لما أنزل الله!..

والإسلام لا رهبانية ولا كهنوت فيه إذ أن المسلم مكلف بدراسة كل ما له صلة بأمور دينه. والمساجد هي المكان الذي يشير التاريخ بتسلسله لاستيفاء الدراسة والأخذ بتعاليمه وإن كثيراً من أهل الخبرة والاختصاص في أمور الدين الإسلامي تخرجوا من المساجد وهناك نفر من الأفذاذ منهم من استطاعوا أن يثبتوا أنهم خير من كثير من حملة الشهادات العلمية الكبرى في الفقه وفي أصول الدين وفي كثير غيرهما من العلوم!... هم من خريجي حلقات المساجد!.

أما الدولة في الإسلام فهي تتمثل بالأخذ بكتاب الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]. وسنّة رسوله محمدﷺ **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**. فالحكم لله والخليفة مسؤول بين يديه ثم أمام المواطنين الذين وضعوا ثقتهم فيه بالبيعة.

ينتصح بنصحهم ويسير على نهج يكفل لهم الحرية والخير والسلام والعدل والحق وكل المعاني السامية التي يجنح إليها مواطنوه إناثاً وذكوراً.. كباراً وصغاراً.. الضعيف عنده قوي حتى

ينال حقه والقوي عنده ضعيف حتى يسترد منه حق الضعيف.. وهكذا.. فالخلق كلهم عيال الله!..

فإن اختلفوا في شيء رجعوا إلى كتاب الله ثم سنة رسوله ﷺ ليحكم بينهم.

ثم إن دولة الإسلام لا تقر الازدواجية في الحكم.. إذ أن السلطة التنفيذية تسير في مسيرة يراقبها الله ﷻ ويحددها الدستور السماوي وتراقبها السلطة الجماعية.. سلطة الرأي العام.. ألا وهي الأمة بكاملها.. ممثلة في مجلس شوراها.. وقد تتصدى عنها الطبقة الواعية المستنيرة بالحكمة الهادية والمشورة البناءة المخلصة.. «**وأمرهم شورى بينهم**».. وهناك أمثلة ومواقف كثيرة في هذا المضمار.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨].

وليس من حق الخليفة ولا من يمثلونه اكتناز الأموال والعبث بمقدرات الأمة.. وليس من حق الخليفة توزيع المناصب على طالبيها بل الواجب يدعوه في حال كهذه الحال اختيار العناصر المؤمنة الصادقة الشريفة التي تتوفر لديها الثقة بالله والخوف منه ثم المؤهلات العلمية والعملية الفذة والجديرة بتحمل مسؤولية العمل المنوط بها!..

وفي النطاق العسكري يحث الإسلام مواطنيه بمعاني الدفاع عن الوطن والذات التي تقر العيون وتثلج الأفئدة فيعود بذلك جلال مواكبهم العسكرية الموحدة المدعمة بأقوى العتاد إلى أزهى عصور التاريخ يوم كانت الأمة الإسلامية تحمل مشاعل الحضارة.. حضارة العدل والحق.. والسلام.. ورغد العيش..

وقد أوضح الله ﷻ لنا إصلاح ذات البين بين الفرقاء إن اقتتلوا فرسم لنا أنصع الحلول في ذلك بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠].

وأما في حقل الإنشاء والتعمير فإن الإسلام يعدد الخطوط والبرامج الإنشائية والتجديدية التي تؤدي إلى تنسيق المدن ورفع مستوى وسائل الإسكان والمرافق العامة بما يتواءم مع الفقه والبيئة والحياة الاجتماعية. وكل ذلك يكون فيه رفع لمستوى الفرد الخلقي والعلمي والاقتصادي ويفسح الطريق أمام الكفايات ويصقل المواهب ويجلي الصدأ عن عبقرية الشعب وبذلك يرقى باقتصاديات المسلمين وزراعتهم وصحتهم وصناعتهم وتجارتهم إلى المستوى اللائق بفعاليتهم وبقدر العطاء يكون الأخذ.

وفي مجال التعليم وتأهيل الفتية بسلاحه فإن الإسلام يعتبره إلزامياً فطلب العلم فريضة عنده على كل مسلم ومسلمة.. كما وأنه

يحث على اكتسابه حيث كان.. ومهما كان.. حتى ولو في الصين!..

وفي العصر الذي نعايشه اليوم تقاربت الأمم بوسائط كثيرة ومنها التلفزيون والإذاعات والهواتف والإنترنت وبقية التقنيات حتى أن الحدث يشاهد وقت حدوثه بكل حيثياته أي أن تلك الوسائط من الممكن أن تكون مدعاة للتعايش السلمي بين الشعوب. كما وأنها تهيىء للأجيال دعائم قوية وعميقة لترسيخ المبادىء الخيرة وتطهير الأذهان من الشوائب الشريرة الآثمة العالقة بالتوارث.. وصروف الزمن..

بقي جانب هام وأساسي وهو طريقة تفاعل الأمة الإسلامية مع الأمم والشعوب الأخرى وتطلعها للاتصال.. اتصال الأمة بالأمة والأرض بالأرض. واتصال الحاضر بالماضي.. اتصال في المكان والزمان لوحدة الأرض. ووحدة الشخصية عبر الزمان.. والمجال الذي فتحه الإسلام بما عند الأمة الإسلامية من استعدادات ونزعات وإمكانيات واستثمرها لخيرها وخير الإنسانية.. وسّع أفقها ونقلها من الصعيد القبلي الضيق إلى الصعيد الإنساني فارتقت بذلك من واقعها الأرضي المتقلب إلى الكمال الإلهي والأزلي.

هذه إلمامة مقتضبة تحكي معالم الوضوح في مثالية الحكم في الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ صدق الله العظيم [**الحجرات**: ١٣].

«ما أقصر الحياة الدنيا..!!
لمن هي كل ما له!!..»

للتصور الإسلامي.. للآخرة أثره في الاتجاهات الروحية.. والسلوكية.. عند الإنسان..

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فما أقصر الحياة الدنيا.. وما أضيقها حتى تحس النفس الإنسانية.. أنها لا تتصل بحياة سواها.. ولا تطمع في غير أنفاس.. وساعات.. على الأرض.. محدودة.. معدودة.

إن الإيمان بالحياة الأخرى.. نعمة.. نعمة.. نعمة.. يفيضها.. الإيمان.. على القلب.. نعمة يهبها الله سبحانه.. للفرد الفاني.. المحدود العمر.. الواسع الأمل!!..

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

فالإيمان باليوم الآخر.. فوق أنه إيمان بقول الله عز وجل المطلق.. وجزاءه الأوفى.. هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحيوية.. وعلى امتلائها بالحياة.. لا يقف عند حدود الأرض..

إنما يتجاوزها إلى البقاء المطلق الذي لا يعلم نهايته ومداه إلا الله العليم.. وبذلك يمضي الإنسان إلى المرتقى السامي الذي يتجه صاعداً إلى جوار الله **عز وجل**!..

والاعتقاد بالآخرة يؤدي.. دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح وقلب المؤمن وعالمه.. ونفي للقلق والسخط والقنوط..

إن الحساب الختامي ليس في هذه الدنيا.. والجزاء الأعظم.. ليس في هذه الدنيا..

إن الحساب الختامي هناك في الدار الآخرة.. والعدالة المطلقة.. مضمونة في هذا الحساب.. فلا ندم على ما فعله من خير.. والجهاد في صنع العمل الحسن.. إذا لم يتحقق التقدير له في الدنيا أم لم يلق جزاءه.. ولم ينل ما يستحقه.. إن الله ﷻ سوف يوفيك بميزانه.. فالآخرة فيها العطاء.. وفيها المثوبة إن لم تعطاها في الدنيا أو لم تنل سوى نزر يسير مما تستحقه.. قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ صدق الله العظيم [**الأعلى**: ١٦ ـ ١٩].

وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة.. وأن يخفف الإحساس الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود!.

والقرآن الحكيم يلمس القلب.. لمسة قوية.. إذ يجعلنا ندرك أننا مستخلفين من الله سبحانه فيما منحنا إياه.. كما منح من قبلنا الذين سبقونا.. وإنه بدوره زائل عنا ما تفضل الله الكريم علينا به فمنحنا إياه.. يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ صدق الله العظيم [يونس: ١٤].

إنها أيام.. يقضيها الإنسان فيما هو مستخلف عليه من الله سبحانه.. يمتحننا بما يكون منا.. ويبتلينا.. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وهو المحاسب سبحانه لنا على ما نكسب بعد بقاء فيه قليل.. في دنيانا.. دائم باقي في آخرتنا.. إن هذا التصور الذي ينشئه الإيمان في القلب البشري فوق أنه يرى الحقيقة.. فلا تخدعها الخدع.. تصوُّر يثير في القلب يقظة وحساسية.. وتقوى.. خشية من العليم البصير.. هي صمام أمن المؤمن.. وصمام أمن المجتمع الذي يعيش فيه..

والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لاكتمال الشعور.. بأن وراء الحياة التي نحياها حكمة.. وأن الخير الذي ننعم فيه.. في دنيانا.. تأتي بعده نقله.. من الحياة التي نحياها بأمر الله.. ومن ثم لا بدّ من حياة.. الجزاء فيها مضمون.. إن العالم الآخر.. هو الذي تصل فيه الحياة إلى الكمال المقدر.. لأنه الحافز على إصلاح حياتنا الدنيا وإنمائها.. في ذواتنا. والتعامل مع الآخر كما نحب.. أن نعامل.. وأن نحب للآخر كما نحب لأنفسنا..

واليقين بالآخرة هو مفرق الطرق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة.. ومن يعيش في الوجود المديد الرحيب..بين من يشعر أن في حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود.. ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء.. وإن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك وراء هذا الحيّز الصغير المحدود.

قال تعالى ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ صدق الله العظيم.

وكل صفة من هذه الصفات ذات قيمة في الحياة الإنسانية ومن ثم كانت هي صفة من صفات المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ صدق الله العظيم.

وإن اليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب وتطلعه إلى ما عند الله عز وجل.. واستعلائه على كل ما فوق الأرض.. وترفعه على متاع الدنيا.. ومراقبة الله **سبحانه** في السر والعلن وفي الدقيق والجليل في ما يُنسب إليه ويصدر عنه ويرِد إليه.. وبذلك يصل إلى درجة الإحسان لأن الله عز وجل يراه.. فإن لم يكن رآه فهو يراه سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤١﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ صدق الله العظيم.

مسك الختام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

صدق الله العظيم

المحتوى

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
تمهيد	٧	١٠
الدعوة إلى الله سبحانه والإصلاح العام للمجتمعات والكيانات بالإسلام.. لا يكون بالعنف والإرهاب وإراقة الدماء وكل ذلك حرَّمته شرائع السماء على أنه الإفساد في الأرض، ومعرفة آداب الدعوة والإصلاح بالإسلام.	١١	٢٧
الغلو والتطرف والتعصب والاقتتال والتكفير وموقف الإسلام إزاء كل ذلك.	١٧	٢٩
المعارضة البنّاءة والمعارضة الهدّامة في الإسلام.	٢٩	٣٣
اللجوء إلى السلاح الجماعي المدمّر ونشأته في أوروبا وأميركا على يد تشي غيفارا في معارضته الهدامة كمدشن لها وأول بدعها في الخمسينات ومن هو تشي غيفارا صاحب حرب العصابات؟	٣٠	٣٥
المعارضة البنّاءة في الإسلام، ومثال لها الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري ﷺ مواقفه المعروفة كرائد من رواد المعارضة البنّاءة في التاريخ الإسلامي.	٣٥	٤٠

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
لا تشابه بين أبي ذر الغفاري كرائد من رواد المعارضة البنّاءة في مواقفه المباركة من الله **سبحانه** في الإصلاح العام والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواقف تشي غيفارا في معارضته الهدامة وديماغوجية في أيديولوجية حرب العصابات وكتابه في تحليلها وفلسفة وجودها وتصديرها.. وهل يقارن أبو ذر مع تشي غيفارا.. كلا.. وألف كلا!!..	٣٦	٤٠
رؤية الباحثين في استيراد حرب العصابات للمعارضين الهدامين للعالم الإسلامي وماهية الإرهابيين وظروف تواجدهم.	٤١	٤٣
استغلال المفسدين في اصطياد صغار السن من الشباب في ـ السنين الحرجة ـ من المعانين في حياتهم وغسل أدمغتهم كجنود إرهابيين مسخرين لهم. والجمعيات الخيرية الدينية لاصطياد المراهقين اليائسين كوسيلة استدراج لهم..	٤١	٤٣
فكرة الحوار حول هذه القضية الهامة وغيرها وضرورة الارتباط لترشيد الواقع وممارسة الحوار في تحقيق قاعدة اتفاق حول هذه القضية وغيرها فكرياً وثقافياً وعملياً وحركياً وقوله: (اتفقوا على أن لا يتفقوا). وهل هي صحيحة؟	٤٣	٥٠

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
مجال «**التخندق**» في الحوارات وممارسة أسلوب «**الشرانق الفكرية**» في كثير من حواراتنا في قضايانا الهامة..	٤٨	٤٨
منطقية الحوار ينبغي أن لا تعرف لغة إبعاد فئة ـ فاعلة هنا وهناك.	٤٨	٤٩
في مواجهتنا «للإرهاب».. نواجه من نتعامل معهم «**كأشباح**» ـ من يوجههم؟ من هم؟ من أين جاؤوا؟.. ما هي أهدافهم؟.. هل هم اتخذوا من الإسلام حقاً في مفاهيم مضطربة غسلت بها أدمغتهم؟.. هل هم تنظيم أو عدة تنظيمات وهل بينهم تفارقات هل هم يتحدّون السلطة.. أم هي إشاعة فوضى في البلاد؟.. هل هم عملاء لجهات ما؟.. وأين دور الأمن الاستخباراتي حولهم؟.. أين المجتمعات عن الفتيان المراهقين الذين انقلبوا إلى إرهابيين؟.. **منذ ١٤٠٠هـ**.. بعد بادرة السلام المصرية مع إسرائيل وهوجة «**جهيمان**» الواهية؟ وأين دور المجتمعات من العائدين من شبابهم المشاركين في حرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي وتحريرها من الشيوعية ونظام حكم دولة «**طالبان**» المزعوم بإسلاميته وتناقضه مع الإسلام في معالمه الحضارية المثالية!..	٥٢	٥٣

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
ظاهرة «**جهيمان**» و«**المهدي**» المصطنع من خطط لهذه الفتنة عام ١٤٠٠هـ ومن خلفها؟ **أعدمت** الدولة جهيمان ومن معه من الرجال وأحالت النساء والأطفال إلى الإصلاحيات بعد محاكمات مكتومة.. لماذا لم تكشف الدولة كل أوراقهم أمام الرأي العام لمعرفة كل ذلك فمن هنا مربط الفرس؟. وقد رافقتها أكثر من حركة إرهابية في بعض البلدان العربية.. هناك تساءل هل لها صلة مباشرة؟ أو غير مباشرة بجهات دولية أجنبية؟ وهل لهاصلة ببادرة السادات رحمه الله؟ ولماذا التحولات التي طرأت في وسائل الإعلام عندنا؟ منذ هوجة «**جيهمان**» الواهية؟	٥٢	٥٤
الإعلام ودوره بكامل وسائله في بناء الإنسان المثالي المسلم الذي يصمد بإيمانه القوي العميق بالله العلي العظيم أمام أقوى تيارات لهدم أمته وبلاده الإسلامية في شموخ وصلابة ودور الإعلام رافد من رافدين قويين في بناء الإنسان المثالي المسلم أما الرافد الآخر فهو التربية الإسلامية والتعليم الأمثل.	٥٤	٦٣
لجوء المفسدين المدمرين المدبرين في مفارزهم المصعدة بين الحين والحين إرهاباً وتدميراً وإفساداً في الأرض باسم الدين ولجوؤهم إلى الكمون والتواري في أجواء الحملات الأمنية المكثفة.. في مواقف إما مصرة على الانتحار أو واثقة من قوة عناصرها		

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
ودعائمها.. فهل يكتفى بالاستنكار والانتظار لنهاية مسلسلهم الإرهابي؟.. **العقل الشجاع** عندنا والكل منا شجاعتنا تدعونا لبحث مخرج من الأزمة المفروضة علينا.. كيف؟.. ومتى؟ وأين؟	٦٤	٦٧
الفرق بين الحل وهو الأمثل وبين الأمل في الحل.. وضرورة البحث الجاد لدراسة واقع غير قليل من الشباب بجنسيه.. ومعاناة هوة البأس عندهم والدعوة إلى بنائهم بناءً بوسائل العصر التقني المتطور لتكوينه إسلامياً مثالياً جديداً بدين الإسلام إعلامياً وتربوياً واجتماعياً. بدنيا الوسط بين الأديان ـ دين العمل للدنيا والآخرة!.. وبناء الأمة مثالياً ووسطية الإسلام ركيزة أساسية في مداميك البناء.	٦٧	٧٠
مثالية الإخاء في دين الرحمة.. دين الإسلام، دين الحرية ودين عدم الإكراه في الدين والمعتقد.. وموقف الإسلام من أهل الذمة والعهد فعلاقة المسلمين مع غير المسلمين في الإسلام والحماية لهم من المسلمين.. **كيف نستفيد** من وسائل التقنية الحديثة في وقت قصير في تغذية المواطن العادي والأجيال القادمة برزع بذور مثالية الإسلام فيهم وضرورة اختصار سنين الدراسة حتى يتم الزواج المبكر بين الجنسين مما		

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
يمكنهما من رعاية الأبناء في السن الحرجة للجنسين وليتفرغا كزوجين شابين.. للبحث العلمي والإبداع والجدية في تطور علومهم المكتسبة في تخصصاتهم.	٧٠	٧٤
أكثرية المسلمين أحوج ما يكونون على مستوى رسالتهم الإسلامية المثالية! والقولة الحكيمة التي قالها في مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد بإيران في دورة له رئيس وفد بلادنا سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز قوله ضرورة إصلاح بيوتنا من الداخل..	٧٤	٨١
حياة الإنسان بالروح والنفس. وحياة المسلمين بالقرآن الحكيم والسنة الشريفة!..	٨٣	٨٥
اللغة العربية دعامة أساسية في حياة المسلمين وأقدر اللغات على النهوض بتبعات التطوير الدائم الذي تعايشه الإنسانية!..	٨٥	٨٥
الإسلام ختام الأديان السماوية لذلك فله قوة دفع لفكر الإنسان وما اتصل به من حياة لا نظير لها في تاريخ فكر الإنسان. وإنسان العصر وانتهاء الحرب الباردة، والبناء الجديد لإنسان عصر اليوم.	٨٦	٨٦
هل يستطيع إنسان العصر مع القدرات الجديدة والتغييرات المتطورة معايشتها بغير الإسلام وتربيته إسلامياً على خشية الله والصدق والقيم في مثاليتها تعاملاً مع الآخرين وسرياناً فيه؟	٨٦	٨٦

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
كيفية تربية إنسان العصر والأجيال من جديد وواقع اليوم الحياتي لنا أفراداً وجماعات وكيانات.	٨٧	٩٠
المرأة التي كرّمها الله في الإسلام فضربها مثلاً للذين آمنوا.. ومثلاً للذين كفروا.. فحدد سبحانه بذلك مسؤولياتها في كل أمور التكليف الرباني يتساوى مع الرجل فمسؤولياتهما سيان بين يدي الله عز وجل أي لا تمايز بينهما في التصريف الحياتي..	٩٠	١٠٦
الإسلام لكل خلق الله منذ بعثته لسيدنا محمد واصطفائه خاتماً للأنبياء **صلى الله عليهم وسلم أجمعين**. وأخذه العهد والأصر سبحانه والميثاق على النبيين بمناصرته **صلى الله عليهم أجمعين وسلم**. وشهد عز وجل عليهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك ووعد الله سبحانه بإظهاره على الدين كله وأنه هو دين الحق..	١٠٦	١١٠
الدين عند الله الإسلام فكل ما سمي من أديان بغيره من الديانات المقدسة أرسلت على رسلهم **صلى الله عليهم وسلم** باسم الإسلام. واليهودية ـ والمسيحية ـ النصرانية، مسميات مرتبطات بحدث واسم!..	١٠٧	١٠٨
ضمن الله سبحانه حفظه للقرآن الكريم فلم يبدّل فيه حرف أو معنى منذ أنزل بينما الكتب المقدسة الأخرى حرفوا فيها بلسانها العبري أو ترجمات لها بلغات		

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
أخرى: ومصحف عثمان ﷺ باق كما هو.. لا تبديل فيه ولا تغيير.. منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ونصف إلا قليل..	١٠٨	١٠٩
حاجة إنسان اليوم إلى الإسلام خلاصاً له من آلامه وتحقيقاً لآماله.. لأنه دين العصر.. المنزل من الله عز وجل على خاتم أنبيائه ﷺ سيدنا محمد رحمة للعالمين لكل زمان.. ولكل مكان..	١١٠	١١٦
السوبرمان والطوباويات يحققها الإسلام.	١١٧	١١٩
المثالية في المدينة الفاضلة عند المنادين بها	١٢١	١٢٩
ما أقصر الحياة الدنيا!! لمن هي كل ماله	١٣١	١٣٥
صمام الأمان للإنسان الإيمان بالله سبحانه والتزام أركانه بما فيها الإيمان باليوم الآخر.	١٢٩	١٣٣
مسك الختام		١٣٧
المحتوى	١٤١	١٤٩
المؤلف محمد كامل الخجا في سطور	١٥٣	١٥٨

المؤلف

محمد كامل الخُجا

في سطور

محمد كامل الخجا
مفكر وشاعر ومنظِّر

* ولد **بالمدينة المنورة** وهو دون الستين من عمره على وجه التقريب وكما يؤكده العارفون إذ لم تكن عند ولادته شهادات ميلاد وهو من أسرة عربية هاشمية من الأشراف الشويكيين. وهي من فخوذ الأشراف المنحدرين من سلالة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيد فاطمة الزهراء ﵂. أسرة هاشمية من آل بيت رسول الله **عليه وعليهم الصلاة والسلام** سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين من رب العالمين.. وهي أسرة موزعة في الحجاز والدمام والخبر بالمملكة وفي سوريا ولبنان ومصر والأردن ممثلة في نقابة الأشراف والسادة آل البيت في هذه الدول. وكذلك في البحرين وتونس والمملكة المغربية وكندا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

* لم يكمل **دراسته الجامعية** لظروف يعرفها الجميع.

* بدأ حياته **الفكرية والأدبية** في الحادية عشرة من عمره أو أقل حيث نشرت الصحف المحلية نماذج من شعره ومقالاته ومن ثم في معظم الصحف العربية في مصر وسوريا ولبنان وتونس

والكويت والأردن وقد عرف في مطلع حياته باسم مستعار يُذَيِّل إنتاجه به وهو «**النسر الصغير**» كما كانت له برامج في إذاعة المملكة وبعض أحاديث إذاعية وتلفزيونية في المملكة ومصر وسوريا، وبعض دول الخليج.

* شارك في **مؤتمر الأدباء العرب** في الجمهورية السورية ضمن ممثلي المملكة فيه وألقى كلمة وفدها وكان في الثانية عشر تقريباً من عمره عام ١٩٥٧م في حفل افتتاح المؤتمر الذي افتتحه الرئيس شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا آنذاك رحمه الله.

كما شارك في **عدة مؤتمرات ومهرجانات وأمسيات فكرية** وشعرية محلية وفي معظم الدول العربية والإسلامية وفي أسبانيا وألقى عدة محاضرات وقصائد فيها كما دعي إلى كثير من الأندية والمنظمات والجامعات المحلية والعربية والإسلامية وألقى محاضرات ودارت معه لقاءات حوارية وأحيا أمسيات شعرية فيها.

* عرف بأسلوبه **المميز الجريء** المقنع كمفكر وشاعر ومحدث مفوه ومنظِّر مُجَرِّب ومُلِمٌّ بالأحداث والثقافات الإنسانية قديماً وحديثاً. والدراسات الدينية والتشريعات وعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأصول تفسيريهما.

* جاهد منذ نعومة أظافره وله **دور طليعي** بناء في سبيل التضامن الإسلامي والوحدة العربية والإصلاح العام مما كَبَّده كثيراً. فقد سجنه الملك سعود رحمه الله في «المصمط» بالرياض لشعر نسب إليه ولولا عناية **الله عز وجل** للبث فيه سنين إلا أنه سبحانه

سخر له بعض من يبذل بوجاهته وقوة مركزه وساطة تَشَفُّع فلم يمكث فيه أكثر من شهر. كما وأنه تعرض لمحاولات اغتيال أكثر من ذي مرة بسيارات مدفوع سائقيها إلى ذلك كما وأنه اختطفته عصابة مأجورة في القاهرة ثمانية عشر شهراً خلال عمله عضواً بمكتب الشؤون العربية برئاسة الجمهورية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر لاقى الكثير فيها من العذاب والتنكيل حتى اقترب بكليته من الله تعالى. ولما علم الرئيس عبد الناصر بافتقاده واختفائه كلّف أكثر من جهة رسمية ببذل أقصى الجهود للعثور عليه. حتى توصلت إلى معرفة خاطفيه ومكان خطفه. وقد كرمه الرئيس جمال عبد الناصر ﷺ تكريماً خاصاً كما أرسله إلى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز ﷺ مع مرافق كبير المستوى ومزوداً إياه برسالة توصية تقديرية له، متمنياً على الملك فيصل ﷺ رعايته والاستفادة من مواهبه المتعددة وخاصة في المجال الفكري والإصلاحي العام لشتى الشرائح في المجتمعات.

* عمل سكرتيراً لتحرير **جريدة عكاظ** في بدء صدورها ومديراً لتحرير **جريدة الخليج** العربي المحتجبة بالدمام ومعلقاً سياسياً بالإذاعة السورية. وعضواً بمكتب الشؤون العربية برئاسة الجمهورية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وتربطه صداقات حميمة بعدد من ملوك ورؤساء وأمراء وقادة ومفكرين وشعراء وعلماء وأساتذة جامعات وأدباء وإعلاميين في كثير من الدول ويحمل عدة أوسمة منها ووشاحات ودروع.

* عمل بتوجيه من الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز ﷺ بوزارة الإعلام **سكرتيراً عاماً للصحافة** في الرياض ثم مديراً للعلاقات العامة بجدة ثم انتقل قريباً من أسرته بعد تقاعد والده إلى المدينة المنورة مسقط رأسه ومكث يعمل بالوزارة حتى إحالته إلى التقاعد بطلب مُلِحٍّ منه وكان آخر مسمى لوظيفته هو سكرتير عام وزارة الإعلام وذلك ليتسنى له التفرغ للبحث والدراسة وجمع وترتيب منجزاته الفكرية والأدبية والشعرية.

* صدر له ديوان **الأمل الغارب** كتب مقدمته عميد الأدب الدكتور طه حسين ﷺ في الستينيات عند إقامته بمصر وقد نفذ. كما صدر له على التوالي: «**موقعنا من الحضارة ضمن الإطار العالمي**». و «**أفكار من المدينة المنورة**» وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنكليزية والفرنسية والإسبانية وكتاب «**دور الإعلام الإسلامي في بناء الإنسان المثالي**».

وفي المطابع الآن على وشك التوزيع خلال أسبوعين أو ثلاث إن شاء الله الكتب التالية:

«**رحلة البشرية عبر الزمن**». كتب مقدمته العلاّمة العربي السعودي الشيخ عبد الله بن خميس.

وكتاب عن: «**موقف الإسلام إزاء الغلو والتطرف**». كتب مقدمته دولة الرئيس السوري السابق الأستاذ الدكتور/ مأمون الكزبري العلاّمة الدولي المعروف. وعنوان هذا الكتاب: «**ألا ساء ما يزرون**»!..

وكتاب: «**في دائرة الضوء**» «الجزء الأول». وهو يضم مجموعة دراسية استعراضية عن ستين شاعراً ومفكراً عربياً من المعاصرين.

كما ستصدر له قريباً إن شاء الله. مجموعة شعرية تحت عنوان: «**أشعار من محمد كامل الخجا**». جمعت أكثرية من قصائده.

وكذلك كتاب: «**أفكار من المدينة المنورة**» في خمسة أجزاء. وقد ضم مجموعة من محاضرات ألقاها ومقالات وبحوث ودراسات نشرها في الصحف وأذيع بعضها في الإذاعات..

وهو يعكف الآن على تسجيل مذكراته التي تحكي مراحل حياته من طفولته وصباه وما بعد شبابه أمدّ الله في عمره تحت عنوان: «**رحلتي عبر الزمن**»!..

* متزوج وله ثلاثة أولاد ذكور هم:

جهاد ومجد الإسلام ومأمون.

الفهرس

تمهيد ٧

مقدمة ١١

«غيفارا وابو ذر» ٢٩

غيفارا ومواقف أبي ذر الغفاري ٣٥

«مواقفنا ازاء هذا الوباء» ٤٢

حيثيات الحوار ٤٤

الحوار رسالة اتصالية؟ ٤٩

حاجتنا.. إلى توعية لبناء مجتمع اسلامي مثالي ٥٤

«ما العمل لاجتثات الارهاب؟.» ٦٥

«الاستفادة من تقنية العولمة» ٧٤

«مسلمو اليوم.. هل هم في مستوى رسالة الاسلام» ٧٤

كلام لا بُدَّ منه!! ٨٣

«ركائز أساسية في مناهج التعليم والتربية» ٨٧

«المرأة دورها أساسي» ٩٠

«شرائع الإسلام لا تناقض شرائع ما سبق من الأديان» ... ١٠٦

«الإسلام.. خلاص الإنسان من مآسيه..» ١١٠

«السوبرمان والإسلام» ١١٧

«المثالية في المدينة الفاضلة عند المنادين بها» ١٢١
«ما أقصر الحياة الدنيا..!! لمن هي كل ما له!!..» ١٣١
مسك الختام ١٣٧
المحتوى ١٤١
محمد كامل الخجا مفكر وشاعر ومنظّر ١٥٣
الفهرس ١٥٩